Sana'a University Journal of Human Sciences
مجلة جامعة صنعاء للعلوم الإنسانية
Vol. 1 | No. 2 | Page 922 – 952 | 2024 |
https://journals.su.edu.ye/index.php/jhs
ISSN : 2958-8677

الدر الشفاف المنتزع من الكشاف تأليف: علي بن محمد بن أبي القاسم بن محمد الصنعاني المتوفى عام 837هـ دراسة وتحقيق (سورة الأنفال)

The transparent pearls taken from the scouts Written by: Ali bin Mohammed Bin Abi Al-Qasim Bin Mohammed Al-San`ani, who died in 837 AH Study and Reviewing (Surat Al-Anfal)

جميلة أحمد ناصر قاسم الماوري

باحثة – قسم الدراسات الإسلامية

كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة صنعاء – اليمن

Gamilah Ahmed Nasser Qasem Al-Mawari

Researcher - Department of Islamic Studies
Faculty of Arts and Human Sciences
Sana'a University - Yemen

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى التعريف بصاحب المخطوط، العلامة علي بن محمد بن أبي القاسم بن محمد الصنعاني وحياته، والتعريف بمخطوطه(الدر الشفاف المنتزع من الكشاف)، وإخراج المخطوط بصورة تناسب مكانته العلمية، واعتمد هذا البحث على المنهج الوصفي، من خلال التعريف بالمؤلف، وحياته الشخصية ، وبيان منهج المؤلف، وعرض أنموذجاً من التحقيق، وهي سورة الأنفال كاملة، واتبعت المنهج الاستقرائي عند عزو الأقوال التي رجع إليها المؤلف إلى مصادرها، وتمثلت محاور البحث الرئيسة في مقدمة ومبحثين وخاتمة، وخلصت إلى نتائج عديدة، أهمها: أن المؤلف كان شخصية علمية بارزة في عصره، وموثوقة من العلماء، وأنه من العلماء الذين أوقفوا حياتهم للعلم، وقد تنوعت مصادر المؤلف في التفسير، ويرجع ذلك إلى المنهج الذي سار عليه في مصنفه الذي يقوم على الجمع بين المأثور والرأي في تفسيره، ولذلك أوصي بنشر تفسير علي بن محمد بن أبي القاسم في المكتبات الإسلامية؛ لما فيه من العلوم الجليلة في التفسير والفقه واللغة والنحو، بعد اكتمال تحقيقه.

الكلمات المفتاحية: الدر الشفاف، دراسة، تحقيق، سورة الأنفال.

Abstract:

The aim of this research is to introduce the author of the manuscript, the scholar Ali bin Mohammed bin Abi Al- San'ani, and to Qasim bin Mohammed Al- present his life. It also aims to define his manuscript, (The transparent pearls taken from the scouts), and to present the manuscript in a manner befitting its scholarly status. This research adopts a descriptive approach in introducing the author, his personal and scholarly life, elucidating the author's methodology. It includes an example of investigation, presenting a complete analysis of Surat Al-Anfal. The research employs an inductive approach in attributing the statements referenced by the author to their sources. The main sections of this research include an introduction, two main chapters, and a conclusion. The findings indicate several key points, notably that the author was a prominent scholarly figure in his era, highly regarded by fellow scholars. He belonged to the scholars who dedicated their lives to knowledge. The sources utilized by the author in interpretation were diverse, owing to the methodology applied in his work, which combines both narrated traditions and personal opinion in interpretation. Therefore, it is recommended to publish the interpretation by Ali bin Muhammad bin Abi Al-Qasim in Islamic libraries due to its significant contribution to the fields of interpretation, jurisprudence, language, and grammar, once its investigation is completed.

Keywords: The transparent pearls, Study, Investigation, Surat Al-Anfal.

المقدمة:

الحمد لله الذي أنعم علينا بنعمة الإسلام، ومنَّ علينا بالهدى والإيمان، والصلاة والسلام على أفضل الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه تسليماً كثيراً إلى يوم الدين، أما بعد:

فإذا كانت العلوم تشرف بموضوعها، وتتفاضل بنوعها، فإن علوم القرآن الكريم هي أشرف العلوم، وهي أحقها بالتأليف، وأولاها بالتعلم والتعليم؛ لأنها تدور حول القرآن الكريم، وعلم التفسير من هذه العلوم، فهو ذروة سنامها، ولما كان هذا العلم بهذه المكانة العالية، والمنزلة الرفيعة؛ اهتم به العلماء قديماً وحديثاً بالنسبة للتصنيف، ولم يتركوا فيه صغيرة ولا كبيرة إلا بحثوها ودونوها وبينوها، وتنافست أقلام العلماء فيه، فخلفوا لنا من كتب التفسير ما يصعب على اللبيب

إحاطته، ومن تلك الكتب: (تفسير الكشاف، للزمخشري) الذي يُعد على رأي بعض العلماء من خير كتب التفسير العلمية وأجلها، ومن الأدلة على قيمة الكشاف العلمية أنه قد اعتنى به علماء كثيرون، وكان لعلماء اليمن نصيب في العناية بتفسير الكشاف، منهم: الإمام علي بن محمد بن أبي القاسم الصنعاني، الذي ألَّف كتاب(الدر الشفاف المنتزع من الكشاف)، وبالجملة فقد صارت المصنفات في التفسير وعلوم القرآن مراجع أصلية لأهل التفسير يرجعون إليها، كلما احتاجوا إلى ذلك، وقد وفق الله عدداً ممّن يعملون في هذا الحقل المبارك إلى تحقيق العديد من تلك المصنفات وإخراجها بحلة جميلة؛ لتحصل منها الفائدة، ورغبة مني في المشاركة في إخراج شيء من تلك المصنفات الجليلة النافعة، فقد اخترت هذا البحث، وهو دراسة وتحقيق كتاب جليل من كتب التفسير، هو كتاب: (الدر الشفاف المنتزع من الكشاف)، للعلامة علي بن محمد بن أبي القاسم الصنعاني(ت 837هـ)، وقد اقتصر البحث على دراسة وتحقيق سورة: الأنفال، أسأل الله التوفيق والسداد.

مشكلة البحث:

الحاجة الماسة إلى إخراج التراث العلمي للنور؛ للاستفادة منه عن طريق التحقيق العلمي، والتعريف بأصحاب التراث خاصة المغمورين منهم، وعن هذا الإشكال تتفرع تساؤلات عديدة، وهي:

1- من هو العلامة علي بن محمد بن أبي القاسم بن محمد الصنعاني، وكيف كانت نشأته العلمية؟
2- من هم شيوخه، وتلامذته، وما هي مؤلفاته؟
3- ما الطريقة التي من خلالها تم تحقيق الدر الشفاف؟

أسباب اختيار الكتاب، وتحقيقه: من أهم أسباب اختياري لهذا الكتاب:

1- الرغبة مني في إبراز مصنفٍ في علم التفسير؛ ليستفاد منه لكونه مصدراً له قيمته.
2- أن الكتاب من التراث اليمني الذي يجب الاعتناء به، لاسيما أن المؤلفات والمصنفات اليمنية لم يُحتفَ بها عبر التاريخ؛ لأنّ بعض علمائها كانوا مغمورين.
3- أن مؤلف الكتاب من كبار علماء الزيدية في عصره، وأحد العلماء الذين برعوا وبرزوا في جميع أنواع المعارف والعلوم النقلية والعقلية.

أهمية الكتاب العلمية:

تتمثل أهمية الكتاب العلمية فيما يأتي:

1- أنه كتاب قديم في التفسير، فقد توفى صاحبه سنة سبع وثلاثين وثمانمائة للهجرة، وهذا يُكسبه أهمية خاصة.
2- أنه مختصر لتفسير(الكشاف)، للزمخشري، ولا تخفى القيمة العلمية لتفسير(الكشاف).
3- أن المؤلف أملى في كتابه هذا فوائد وفرائد، وتحقيق وتدقيق، من كتاب الكشاف للزمخشري.

أهداف الدراسة والتحقيق:

هدفت هذه الدراسة إلى:

1- التعريف بالمؤلف، والتعريف بكتابه (الدر الشفاف المنتزع من الكشاف)، وبيان أهميته ومزاياه.
2- دراسة الكتاب في بيان منهجية المؤلف فيه، وأهم مصادره، وبيان آراء المؤلف فيه.
3- إخراج نصّ الكتاب إخراجاً سليماً صحيحاً إلى أقرب ما يكون لما أراده المؤلف، وذلك بمقابلة الكتاب بكتاب الكشاف للزمخشري، وبكتب التفسير السابقة له.

الدراسات السابقة:

من خلال البحث المستفيض في قواعد الرسائل العلمية، وكذلك في الشبكة العنكبوتية لم أقف على دراسة وتحقيق سورة الأنفال من هذا الكتاب، وتحقيقي هذا هو ضمن منظومة محققين لهذا الكتاب، فقد بدأ الدكتور جمال ياسين، أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة إب، بتحقيق سورة الفاتحة في بحث علمي محكم، ويشرف أيضاً على متابعة المحققين للكتاب كاملاً حتى يكتمل تحقيقه.

منهجية البحث:

1- اعتمدت في هذا البحث على المنهج الوصفي، عند التعريف بالمؤلف، وحياته الشخصية والعلمية، وعرض منهج المؤلف، وبيان أسلوبه في كتابه.

2- اتبعت المنهج الاستقرائي عند عزو الأقوال- التي رجع إليها المؤلف- إلى مصادرها.

3- كان من منهج المصنف تفسير بعض الكلمات من الآية، سواء كانت من بداية الآية أو وسطها أو آخرها، ولا يبدأ بكتابة الآية كاملة، لذلك فقد التزمت بنسخ كل آية- بين المصنف منها بعض الكلمات أو فسرها كلها- كاملة؛ حتى يتسنى للقارئ قراءة ومعرفة الآية كاملة التي يفسرها المؤلف.

4- التزمت المنهج العلمي المتبع في التحقيق، مثل: تخريج الأحاديث، والتعريف بالألفاظ الغريبة، والبلدان.

حدود البحث:

تحددت هذه الدراسة بسورة الأنفال كاملة، دراسة وتحقيق.

خطة البحث:

تتكون خطة البحث من: المقدمة، ومبحثا الدراسة والتحقيق، والخاتمة.

أولاً: المقدمة، وتشمل: مشكلة البحث، أسباب اختيار الكتاب، أهميته العلمية، أهداف الدراسة والتحقيق، الدراسات السابقة، منهجية البحث، حدود البحث، وخطة البحث.

ثانياً: مبحثا الدراسة والتحقيق:

المبحث الأول: الدراسة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بحياة المصنف وبيان عصره.

المطلب الثاني: التعريف بالكتاب ومنهج مصنفه فيه.

المبحث الثاني: التحقيق: ويشمل الجزء المحقق من الكتاب، (سورة الأنفال).

الخاتمة، وتشمل: أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: الدراسة

المطلب الأول: التعريف بحياة المصنف وبيان عصره

الفرع الأول: حياة المصنف الشخصية

أولاً: اسمه، ولقبه، وكنيته، ونسبه:

اسمه: علي بن محمد بن أبي القاسم بن محمد بن جعفر بن محمد بن الحسين بن جعفر بن الحسين بن أحمد بن يحيى بن عبدالله بن يحيى المنصور بالله بن أحمد بن الهادي لدين الله يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الحسني الهادوي الصنعاني اليمني [1].

لقبه: لقب بألقاب عديدة، منها: السيد، العلامة، جمال الدين [2].

(1) المؤيد بالله، طبقات الزيدية الكبرى، (القسم الثالث)، ج 2، ص 778، الشوكاني، البدر الطالع، ص 524، 525.

(2) المؤيد بالله، طبقات الزيدية الكبرى، ج 2، ص 778.

كنيته: اتفقت كتب التراجم على أن كنيته: أبو الحسن [3].

نسبه: تعددت أنساب علي بن محمد بن أبي القاسم، وهي:

الهادوي [4]: نسبة إلى الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين [5].

الحسني [6]: نسبة إلى الحسن بن علي بن أبي طالب [7] عليهم السلام.

العلوي [8]: نسبة إلى علي بن أبي طالب [9] عليه السلام.

الصنعاني [10]: نسبة إلى مدينة صنعاء [11].

اليماني أو اليمني [12]: نسبة إلى اليمن [13].

ثانياً: مولده ونشأته:

مولده: اتفقت كتب التراجم والطبقات على تحديد تاريخ مولد العلامة علي بن محمد بن أبي القاسم، وذلك في سنة تسع وستين وسبعمائة للهجرة، وعلى هذا يقابله بالميلادي سبع وستين وثلاثمائة وألف للميلاد [14].

نشأته: نشأ في بيت مشهور ومعمور بالعلم والفضل هو وإخوانه، وقرأ في كتب التفسير والحديث، وغيرهما على يد العديد من العلماء، وكان بمحل عظيم من العلم، وله عدد من المشائخ، وتلامذة كثر، وفتواه تدل على تبحر كبير، عكف على التدريس والتأليف في علوم الاجتهاد، وتخرج عليه أعيان العلماء، وكان يُقرىء الطلبة في جميع علوم الاجتهاد، وفى الأُمهات، وسائر كتب التفسير، وكان حريصاً على صيانة المذهب الزيدي وأهل البيت، صنف في التفسير والنحو وغيرهما، وكان يسكن صنعاء [15].

ثالثاً: أسرته ووفاته:

أسرته: ينتمي العلامة علي بن محمد بن أبي القاسم إلى أسرة عريقة ومشهورة بالعلم والفضل والصلاح، ممّا سبق أن أشرنا، وفيما يأتي بيان موجز لأسرته:

والده: هو محمد بن أبي القاسم بن محمد، كان سيداً، عالماً، عارفاً، إماماً لجامع مدينة حوث [16]، وكان هو وأولاده أبو القاسم بن محمد وعلي بن محمد من السادة النجباء [17].

(3) المصدر السابق، ج 1، ص 465.
(4) الشوكاني، البدر الطالع، ص 524.
(5) هو: يحيى بن الحسين بن القاسم العلوي الرَّسّي الزيدي الملقب بالهادي، أبو الحسين، كان عالماً علاماً، وله مصنفات منها: الأحكام، توفي بصعدة سنة ثمان وتسعين ومائتين. المحلي، الحدائق الوردية في مناقب أئمة الزيدية، ج 2، ص 25- 30، 49.
(6) المؤيد بالله، طبقات الزيدية الكبرى، ج 2، ص 778.
(7) هو: الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي، سيد شباب أهل الجنة، ولي الخلافة بعد استشهاد أبيه علي عليهما السلام، وبايعه أكثر من أربعين ألفا، وبقي نحو سبعة أشهر خليفة، توفي بالمدينة سنة تسع وأربعين. القرطبي، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ص 179- 184.
(8) المصدر السابق، ج 2، ص 778.
(9) هو: علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي، ابن عم رسول الله، أول الناس إسلاما، شهد جميع المشاهد مع رسول الله، كانت خلافته خمس سنين إلا ثلاثة أشهر، ضرب عبد الرحمن بن ملجم علي بن أبي طالب بسيفه في رأسه يوم الجمعة، وتوفي ليلة الأحد التاسع عشر من شهر رمضان، من سنة أربعين، القرطبي، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ص 522- 540.
(10) الوجيه، أعلام المؤلفين الزيدية، ص 717.
(11) صنعاء: عاصمة اليمن، وأكبر مدنها، وأقدمها تاريخاً، حتى ليقال: إن سام بن نوح هو أول من اختطها، ولهذا تسمى مدينة (سام)، كما تسمى مدينة (آزال) نسبة إلى آزال بن قحطان، تقع صنعاء وسط وادٍ فسيح، وتحيط بها الجبال العالية. المقحفي، معجم البلدان والقبائل اليمنية، ص 920.
(12) المؤيد بالله، طبقات الزيدية الكبرى، ج 2، ص 778.
(13) اليمن: مشهورة وغنية عن التعريف، حدودها بين عمان إلى نجران، سميت اليمن لتيامنهم إليها، والنسبة إليها يمني ويماني. الحموي، معجم البلدان، ج 5، ص 447.
(14) المؤيد بالله، طبقات الزيدية الكبرى، ج 2، ص 778، الزركلي، الأعلام، ج 5، ص 8.
(15) المؤيد بالله، طبقات الزيدية الكبرى، ج 2، ص 779، 780، الشوكاني، البدر الطالع، ص 525.
(16) حوث: مدينة كبيرة، تقع ما بين خمر جنوباً، وحرف سفيان شمالاً، سُميت باسم ساكنها حُوث بن السَّبَيع بن همدان، وهي مركز قبيلة العُصيمات من حاشد، ترجع شهرتها إلى كونها واحدة من مراكز العلم البارزة سابقاً، ويرجع تاريخها إلى عصور زمنية سحيقة تصل إلى ما قبل التاريخ الهجري. المقحفي، معجم البلدان والقبائل اليمنية، ج 1، ص 527، 528.
(17) ابن أبي الرجال، مطلع البدور، ج 4، ص 56.

أولاده: ذكرت كتب التراجم والطبقات اثنين من أبنائه، وهما:

الإمام المهدي لدين الله صلاح بن علي بن محمد بن أبي القاسم، عالم مجتهد، من أئمة الزيدية [18][19].

عبد الله بن علي بن محمد بن أبي القاسم، السيد، العلامة، العابد، عالم مجتهد [20].

وفاته: اتفقت كتب التراجم والطبقات على تحديد تاريخ وفاة العلامة علي بن محمد بن أبي القاسم، وذلك في محرم، سنة سبع وثلاثين وثمانمائة للهجرة، ويقابله بالميلادي ثلاث وثلاثين وأربعمائة وألف للميلاد، بصنعاء، وله من العمر ثمان وستون سنة، وقيل: ثمان وثمانون سنة [21].

الفرع الثاني: حياة المصنف العلمية

أولاً: شيوخه وتلامذته:

شيوخه: تتلمذ العلامة علي بن محمد بن أبي القاسم على يد مجموعة من العلماء الذين أفاد من علمهم كثيراً، ومنهم: إسماعيل بن إبراهيم بن عطية النجراني، ناجي بن مسعود الحملاني، أحمد بن سليمان بن محمد الأوزري[22].

تلامذته: تتلمذ على يد العلامة علي بن محمد بن أبي القاسم مجموعة من العلماء، الذين استقوا من بحر علمه، ومن أبرزهم: السيد محمد بن إبراهيم الوزيري، والسيد عبد الله بن يحيى المهدي، وإسماعيل بن أحمد النجراني، وعلي بن موسى الدواري، وأحمد بن محمد الرصاص، والإمام صلاح الدين محمد بن علي [23].

ثانياً: مكانته العلمية وثناء العلماء عليه:

للسيد العلامة علي بن محمد بن أبي القاسم مكانة علمية عظيمة بين العلماء، فقد أشاد كل من ترجم له على مكانته العلمية الرفيعة، ومن ذلك ما يأتي:

قال عنه ابن فند[24] في مآثر الأبرار كان في زمانه العالم العامل، فاق في جميع العلوم، له مصنفات كثيرة[25]، ووصفه القاضي ابن أبي الرجال[26]في مطلع البدور بقوله: السيد العلامة المجتهد في العلوم، المجلي في حلبتها، المعروف بالفضائل، من بيت علم شهير معمور بالفضل، وكان بمحل عظيم من العلم، له مشيخة عدة وتلامذة جم، وفتاواه تدل على تبحر كثير [27].

ثالثاً: مؤلفاته وآثاره العلمية:

ممّا لا شك فيه أن العلامة علي بن محمد بن أبي القاسم كان ذا علم واسع وغزير، وغزارة علمه وسعة فكره تظهر جلية في مصنفاته، فقد ترك ثروة علمية كبيرة في التفسير والنحو والفتاوى، وغيرها، ومنها:

تفسير الدُّر الشَّفاف المُنتزع من الكشَّاف، وهو الكتاب الذي نقوم بدراسة وتحقيق سورة الأنفال منه، وكتاب: تجريد الكشاف مع زيادة نكت لطائف، التفسير

(18) الزيدية: هم أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ساقوا الإمامة في أولاد فاطمة، ولم يجوزا ثبوت الإمامة في غيرهم، إلا أنهم جوزوا أن يكون كل فاطمي عالم زاهد شجاع سخي، خرج بالإمامة أن يكون إماما واجب الطاعة، سواء كان من أولاد الحسن أو من أولاد الحسين، وزيد بن علي لما كان مذهبه هذا المذهب أراد أن يحصل الأصول والفروع؛ حتى يتحلى بالعلم، فتتلمذ في الأصول لواصل بن عطاء. الشهرستاني، الملل والنحل، ج 1، ص 179، 180.

(19) الوجيه، أعلام المؤلفين الزيدية، ص 505.

(20) ابن أبي الرجال، مطلع البدور، ج 3، ص 80.

(21) المؤيد بالله، طبقات الزيدية الكبرى، ج 2، ص 780، الوجيه، أعلام المؤلفين الزيدية، ص 717.

(22) المؤيد بالله، طبقات الزيدية الكبرى، ج 2، ص 778، 779.

(23) المؤيد بالله، طبقات الزيدية الكبرى، ج 2، ص 779.

(24) هو: محمد بن علي بن يونس بن علي بن الزحيف، المعروف بابن فند، كان عين عيون العارفين، من مؤلفاته: مآثر الأبرار، توفي بعد سنة ست عشرة وتسعمائة. المؤيد بالله، طبقات الزيدية الكبرى، ج 2، ص 1038، 1037.

(25) ابن فند، مآثر الأبرار في تفصيل مجملات جواهر الأخبار، ج 3، ص 1159.

(26) هو: أحمد بن صالح بن محمد بن علي، المعروف بابن أبي الرجال، كان فاضلاً عالماً متقناً فطناً ثقةً محدّثاً فهامةً حافظاً للأنساب والتواريخ قديمها والحديث، وله التصانيف النفيسة منها: مطلع البدور ومجمع البحور، توفي سنة اثنين وتسعين وألف. المؤيد بالله، طبقات الزيدية الكبرى، ج 1، ص 146-137.

(27) ابن أبي الرجال، مطلع البدور، ج 3، ص 267.

المشهور، الذي أضاف إليه لطائف ودقائق، قال عنه العلماء: إنه أحسن التفاسير وأوضحها، وله أيضاً: التفسير الكبير في ثمانية مجلدات، كما يقول الشوكاني، وكتاب: البرود الصافية والعقود الوافية في شرح الكافية، وله في مجال الفتوى: الفتاوى، في مجلد كبير [28].

الفرع الثالث: عصر المصنف وأثره على المؤلف

أولاً: الحالة العلمية: وأثرها على المؤلف

كان الاهتمام بالتعليم، وتقديم الخدمات لطلاب العلم وللعلماء المبرزين في نشر العلم سمة هذا العصر، وكانت ظاهرة تسابق الجهات إلى تيسير سبل رفع مستوى المعرفة ونشرها شائعة، وهو ما أدى إلى الازدهار العلمي الذي عاشه اليمن حينها [29].

ثانياً: الحالة السياسية وأثرها على المؤلف

كانت المدة التي عاش فيها العلامة علي بن محمد بن أبي القاسم أي ما بين (769-837)، داخلة في عصر الدولة الرسولية التي امتدت من تاريخ (628هـ) إلى تاريخ (858هـ)، وقد اتسم نظام الحكم الرسولي في زمن المصنف بكثرة الاضطرابات، وتنوع الصراعات، وانتشار الفوضى، وافتقاد الاستقرار، وتفتت الوحدة السياسية لليمن [30].

المطلب الثاني: التعريف بالكتاب، ومنهج مصنفه فيه

الفرع الأول: توثيق عنوان الكتاب، ونسبته إلى مؤلفه

أولاً: توثيق عنوان الكتاب:

ذكرت المصادر التي اطلعت عليها التي ترجمت للعلامة علي بن محمد بن أبي القاسم أن له تفسيراً اسمه: (الدر الشفاف المنتزع من الكشاف)، وقد ورد اسم هذا التفسير في أكثر من مصدر، منها:

ذكر كتاب (الدر الشفاف) القاضي العلامة أحمد بن عبد الله الجنداري، المتوفى سنة 1337هـ، في كتابه: الجامع الوجيز، وذلك في أثناء ترجمته للعلامة علي بن محمد بن أبي القاسم بقوله: وهذا السيد طوداً شامخاً، ومؤلفاته تنبئ عن فضله، ومنها: (الدر الشفاف) [31]، وذكر اسم الكتاب -أيضاً- عبد السلام بن عباس الوجيه في كتابه: أعلام المؤلفين الزيدية، بقوله: ومن مؤلفاته: (الدر الشفاف المنتزع من الكشاف) [32].

ثانياً: نسبة الكتاب إلى مؤلفه:

إن نسبة كتاب (الدر الشفاف المنتزع من الكشاف) للعلامة علي بن محمد بن أبي القاسم ثابتة، لا تشوبها شائبة، وذلك لأدلة عديدة، منها:

اقتران اسم الكتاب باسم مؤلفه السيد العلامة علي بن محمد بن أبي القاسم، وذلك في الورقة الأولى من الكتاب.

أشار إلى هذا الكتاب بعض من ترجم للعلامة علي بن محمد بن أبي القاسم، ونسب إليه كتاب: (الدر الشفاف المنتزع من الكشاف)، منهم: القاضي العلامة أحمد بن عبد الله الجنداري، وعبد السلام بن عباس الوجيه، و عبدالله محمد الحبشي، كما أشرنا سابقاً [33].

الفرع الثاني: مصادر الكتاب وقيمته العلمية:

أولاً: مصادر الكتاب:

(28) ابن أبي الرجال، مطلع البدور، ج 3، ص 267، المؤيد بالله، طبقات الزيدية الكبرى، ج 2، ص 779، 780، الشوكاني، البدر الطالع، ص 524، الزركلي، الأعلام، ج 5، ص 8، الوجيه، أعلام المؤلفين الزيدية، ص 717، 718.

(29) الأهجري، الحياة العلمية في اليمن من بداية القرن التاسع الهجري حتى سيطرة العثمانيين عليها، ص 174.

(30) محمد عبد العال، بنو رسول وبنو طاهر وعلاقات اليمن الخارجية في عهدهما، ص 6.

(31) الجنداري، الجامع الوجيز في وفيات العلماء أولي التبريز، ج 1، ص 272.

(32) الوجيه، أعلام المؤلفين الزيدية، ص 718.

(33) الجنداري، الجامع الوجيز في وفيات العلماء أولي التبريز، ج 1، ص 272، الوجيه، أعلام المؤلفين، ص 718، الحبشي، مصادر الفكر الإسلامي في اليمن، ص 27.

المصادر التي اعتمد عليها العلامة علي بن محمد بن أبي القاسم في كتابه (الدر الشفاف المنتزع من الكشاف)، واستعان بها كثيرة ومتنوعة، ويمكن تقسيم هذه المصادر إلى نوعين:

النوع الأول: المصادر المؤلفة في التفسير وعلوم القرآن والقراءات والحديث والفقه والعقيدة واللغة والأدب، وغيرها.

النوع الثاني: أقوال وآراء منسوبة إلى العلماء السابقين، أو منسوبة إلى مذاهب أو فِرق.

ثانياً: قيمة الكتاب العلمية:

إن قيمة أي أثر علمي تنبع من ثلاث جهات:

1- الجهة الأولى: موضوعه:

موضوع كتاب (الدر الشفاف) هو: تفسير القرآن الكريم، وهو من أشرف العلوم وأجلّها.

2- الجهة الثانية: مؤلفه:

مؤلفه هو: العلامة علي بن محمد بن أبي القاسم، وقد سبق أن ذكرنا مكانته العلمية.

3- الجهة الثالثة: المادة العلمية التي ضمَّنها المصنف كتابه:

يظهر ذلك من خلال ما أضافه المصنف في كتابه، وما امتاز به هذا الكتاب، وما يؤخذ عليه.

وفيما يأتي أهم ما امتاز به الكتاب:

1- يُعد كتاب (الدر الشفاف المنتزع من الكشاف) مصدراً أصيلاً قديماً في التفسير، من مصادر القرن التاسع الهجري؛ إذ كانت وفاة مؤلفه سنة (837هـ).

2- تظهر مزية هذا الكتاب وقيمته العلمية من جهة وضعه، فقد أعطى مؤلفه بوضعه أنموذجاً رائعاً لكتب التفسير التي عهدنا بعضها مطولاً، ومحشواً بالمفيد وغير المفيد، خلافاً لما هو موضوع في هذا التفسير؛ إذ وضعه مؤلفه بطريقة موجزة، غير مخلة بالمعنى.

3- يُعد كتاب (الدر الشفاف المنتزع من الكشاف) تهذيباً وتلخيصاً لتفسير: (الكشاف) للزمخشري، ولا يَخفى على أحد قيمة (الكشاف) العلمية، ولا شك في أن الانتزاع منه وتهذيبه سيكون مقارباً لدرجته.

الفرع الثالث: منهج المصنف

بدأ المصنف كتابه بقوله: (بسم الله الرحمن الرحيم، سورة الفاتحة)، ولم يكتب مقدمة يبين فيها منهجه، لذلك فقد استنبطت منهج المصنف من خلال الدراسة والتحقيق في هذا الكتاب القيم، ووجدت أن المصنف قد سار في تفسيره على منهج يقارب المنهج الذي سار عليه كثير من المفسرين بالمأثور، والطابع العام في تفسيره هو الاعتماد على الرواية والأثر، إلا أنه مع ذلك لم يهمل دور العقل، فالمصنف كان مهتماً اهتماماً كبيراً بالجوانب اللغوية، مقتفياً في ذلك كله أثر الزمخشري في الكشاف، وقد رتب تفسيره كغيره من المفسرين، على وفق ترتيب سور المصحف، ابتداء بسورة الفاتحة، وانتهاء بسورة الناس.

وطريقته العامة في التفسير من خلال السورة التي قمت بتحقيقها: أنه يذكر اسم السورة، وهل هي مكية أم مدنية، ثم يذكر بعد ذلك عدد آياتها، ثم يقوم بذكر الآية مجزأة، فيفسر أهم الجمل والكلمات فيها، تاركاً الواضح منها دون تفسير، وقد يترك الآية والآيتين، ولا يفسرها؛ لكونها واضحة، أو لتقدم تفسيرها، ويبين كذلك مختلف أنواع العلوم المتعلقة بالآيات، مثل: القراءات والناسخ والمنسوخ وأسباب النزول والحديث واللغة والنحو والبلاغة وبعض المسائل الفقهية والعقدية، وغيرها، مستعرضاً أقوال المفسرين والفقهاء واللغويين والنحويين.

الفرع الرابع: وصف النسخة من الكتاب، ونماذج من النسخة الخطية.

أولاً: وصف النسخة من الكتاب:

1- هي نسخة فريدة، مجلدة، مجلد واحد، مكانها إحدى المكتبات الخاصة في صنعاء.

2- اسم الكتاب: (الدر الشفاف المنتزع من الكشاف)، واسم المؤلف: السيد العلامة علي بن محمد بن أبي القاسم.

3- أول الكتاب: (بسم الله الرحمن الرحيم، سورة الفاتحة)، آخر الكتاب: سورة المسد، والورقة الأخيرة منه مبتورة، وبعدها الغلاف الجلد مباشرة.

4-عدد ألواحها: 280 لوح، اللوح مكون من صفحتين، وعدد صفحاتها: 560 صفحة.

5-سأقوم بمشيئة الله بتحقيق 5 ألوح، أي 10 صفحات، ابتداء من أول سورة الأنفال إلى آخرها.

6-حجم الورق كبير، مقاس الأوراق: 20 × 27سم، مسطرتها: 27 سطراً، وفي كل سطر: 16 كلمة.

7-نوع الخط: خط نسخي جيد واضح، وبعض الكلمات بالحمصي.

8-لونه: أسود، والكلمات القرآنية كتبت بالأحمر، وكذلك بعض الكلمات الواردة في تفسير الآيات.

ثانياً: نموذج من النسخة الخطية:

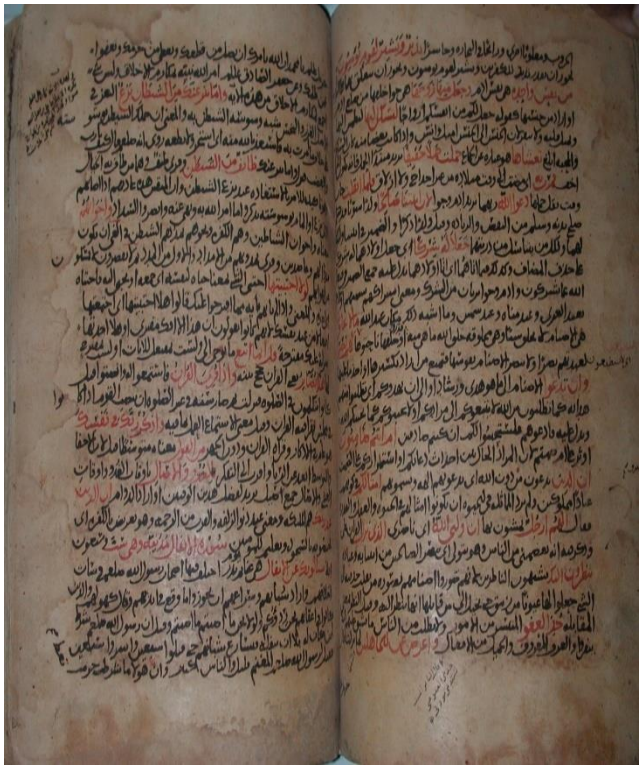

المبحث الثاني: قسم التحقيق

ويشمل الجزء المحقق من الكتاب، وهو: سورة الأنفال

سورة الأنفال مدنية [34]، وهي: ست وسبعون آية[35].

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾ ﴾

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ﴾ هي غنائم يوم بدر [36]، اختلف فيها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وساءت أخلاقهم وأراد شبابهم وسراعهم[37] أن

(34) السمرقندي، بحر العلوم، ج 2، ص 3.
وقيل: هي مدنية كلها غير آية واحدة وهي قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ [30]. البلخي، تفسير مقاتل، ج 2، ص 3.

(35) سورة الأنفال من السور التي اختلف العادون في عدّها، فهي سبعون وخمس آيات في الكوفي، وسبعون وست في المدنيين والمكي والبصري، وسبعون وسبع في الشامي، اختلافها ثلاث آيات: ﴿ ثُمَّ يُغْلَبُونَ ﴾ [36] عدها البصري والشامي ولم يعدها الباقون، ﴿ لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴾ [42] لم يعدها الكوفي وعدها الباقون، ﴿ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [62] لم يعدها البصري وعدها الباقون. الداني، البيان في عد آي القرآن، ص 140.

(36) الطبري، جامع البيان، ج 11، ص 5.

(37) سراعهم: أوائل الناس الذين يتسارعون إلى الشيء. ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج 2، ص 361.

يحوزوا ما وقع في أيديهم، وقال كهولهم[38] والذين كانوا في أعقابهم[39]: نحن ردؤكم[40]، ولولا نحن ما أصبتم ما أصبتم[41]، وقيل: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شرط لمن كان له بلاء أن ينفله، فتسارع شبابهم[42]، حتى قتلوا سبعين وأسروا سبعين، فقيل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: المغنم قليل والناس كثير، وإن تعط هؤلاء ما شرطت حرمت أصحابك[43]، سألوا رسول الله كيف تقسم؟ ولمن الحكم في قسمتها؟ أللمهاجرين أم للأنصار؟[44]، فنزعه الله من أيديهم وجعله لرسول الله قسمه على السواء[45]، أو نفله من أراد، وأمر المقاتلة المشروط لهم التنفيل بالمواساة للشيوخ، والذين وقفوا في المركز فقاسموهم على السواء، ﴿ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ ﴾ تآسوا وتساعدوا واتقوا سخط الله في الاختلاف، عن عطاء[46]: كان الإصلاح أن دعاهم وقال: أقسم غنائمكم بالعدل، فقالوا: قد أكلنا وأنفقنا[47]، فقال: ليرد بعضكم على بعض[48]، ومعنى ﴿ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ ﴾: الأحوال التي بينكم، وذات الصدور: مضمراتها وخفيّاتها[49].

﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ﴾

﴿ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ ﴾ فزعت وخافت، أي: إذا ذكر عقابه[50]، وقوله: ﴿ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ﴾[51] أراد ذكر رحمته، ﴿ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا ﴾أي: ازدادوا يقيناً بها وطمأنينة[52]، وقيل: ازدادوا بها عملاً وجعل العمل من الإيمان[53].

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤ ﴾

وقوله: ﴿ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ ﴾ يحتمل إيماناً حقاً، أو أن يكون مثل قولك: عبد الله قائم حقاً[54]، ﴿ دَرَجَٰتٌ ﴾ شرف وكرامة وعلو منزلة، ﴿ وَمَغۡفِرَةٞ ﴾ تجاوز لسيئاتهم[55]، ﴿ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴾ نعيم الجنة[56].

﴿ كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ٥ ﴾

﴿ كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ ﴾ أخرجه إلى بدر من بيته بالمدينة، أو المدينة نفسها جعلها بيته[57]، والمعنى: أن حالهم في كراهتهم ما رأيت من تنفيل الغزاة

(38) كهولهم: الكَهْل من الرجال: من زاد على ثلاثين سنة إلى الأربعين، وقيل: من ثلاث وثلاثين إلى تمام الخمسين. ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج 4، ص 213.
(39) أعقابهم: عاقبة كل شيء آخره. الفراهيدي، كتاب العين، ج 3، ص 194.
(40) ردؤكم: أردأته بمعنى: أعنته، والردء: العون. الجوهري، الصحاح، ج 1، ص 52.
(41) ابن كثير، السيرة النبوية، ج 2، ص 466- 468.
(42) أخرجه أبو داود بلفظ: عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم بدر: «من فعل كذا وكذا فله من النفل كذا وكذا»، قال: فتقدم الفتيان ولزم المشيخة الرايات فلم يبرحوها، فلما فتح الله عليهم قالت المشيخة: كنا ردءا لكم، لو انهزمتم فئتم إلينا، فلا تذهبوا بالمغنم ونبقى، فأبى الفتيان وقالوا: جعله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لنا، فأنزل الله تعالى ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَنفَالِۖ قُلِ ٱلۡأَنفَالُ لِلَّهِ ﴾. أبو داود، سنن أبي داود، ص 484، كتاب الجهاد، باب في النفل، رقم الحديث (2737).
(43) البلخي، تفسير مقاتل، ج 2، ص 3، 4.
(44) الزمخشري، الكشاف، ج 2، ص 550.
(45) أحمد، مسند الإمام أحمد، ج 37، ص 414، 415، مسند الأنصار، حديث عبادة بن الصامت، رقم الحديث (22753).
(46) هو: عطاء بن أبي رباح أسلم بن صفوان القرشي، شيخ الإسلام، مفتي الحرم، كان من أجلاء الفقهاء وتابعي مكة وزهادها، فاق عطاء أهل مكة في الفتوى. توفي سنة خمس عشرة ومائة. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 3، ص261، 262.
(47) الزمخشري، الكشاف، ج 2، ص 551، 552.
(48) البلخي، تفسير مقاتل، ج 2، ص 4.
(49) الزمخشري، الكشاف، ج 2، ص 552.
(50) البغوي، معالم التنزيل، ج 3، ص 326.
(51) الزمر: من الآية 23.
(52) الزمخشري، الكشاف، ج 2، ص 552.
(53) الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج 4، ص 455.
(54) ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، ج 5، ص 1658.
(55) الزمخشري، الكشاف، ج 2، ص 553.
(56) الطبري، جامع البيان، ج 11، ص 32.
(57) الزمخشري، الكشاف، ج 2، ص 554.

كحالهم في كراهة خروجك للحرب، أو أن ثبوت الأنفال لله وللرسول مع كراهتهم مثل ثبوت إخراج الله إياك من بيتك وهم كارهون[58]، بمعنى أن هذا حق كما أن ذاك حق، أو أنهم كرهوا هذا كما كرهوا خروجك. ﴿ بِٱلْحَقِّ ﴾ بالحكمة والصواب[59]، ﴿ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴾ كرهوا خروج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للنفير، وأرادوا خروجه للعير، وذلك أن أبا سفيان[60] جاء بعير من الشام فيها تجارة عظيمة، وليس فيها إلا أربعون راكباً فأعجب المسلمون تلقي العير لكثرة ما فيها من الخير وقلة العدو، فلما خرجوا بلغ أهل مكة فاستنفرهم أبو جهل[61]، فخرجوا على كل صعب وذلول، وهم النفير حتى بلغوا بدراً، وهو موضع فيه ماء كانت العرب تجتمع إليه في السنة مرة لسوقهم فاستشار النبي أصحابه وقال: إن الله وعدكم إحدى الطائفتين، وقد خرج أهل مكة، فالعير أحب إليكم أم النفير، قالوا: بل العير فتغير وجه رسول الله ولم يزل يردد عليهم حتى قالوا: أمض لما أحببت فو الله لو سرت إلى عدن، أو لو ضربت بنا البحر لأطعناك، وكانت الكراهة من بعضهم لقوله: ﴿ وَإِنَّ فَرِيقًا ﴾[62].

﴿ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٦﴾ ﴾

﴿ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ ﴾ وهو تلقي النفير، وجدالهم قولهم: ما كان خروجنا إلا للعير ولو أعلمتنا انه للنفير لتأهبنا[63]، ﴿ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ ﴾ بعد إعلام الله رسوله أنهم منصورون، وقول جبريل: يا محمد إن الله وعدكم إحدى الطائفتين، إما العير وإما قريشاً، ﴿ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴾ شبه حالهم وهم يسار بهم إلى الظفر والغنيمة بحال من يساق سوقاً إلى القتل، وهو مشاهد لأسبابه[64]، قيل: وإنما كان خوفهم لقلة عَددهم وعُددهم ولم يكن معهم إلا فرسان، وكانت خيل قريش سبعين[65].

﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾ ﴾

﴿ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ ﴾ هي العير[66]، والشوكة: الحدة والقوة[67]، وذات الشوكة النفير لعددهم وعدتهم[68]، ﴿ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ ﴾ يثبته ويعليه، ﴿ بِكَلِمَٰتِهِۦ ﴾ بآياته المنزلة في محاربة ذات الشوكة[69]، ﴿ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ يستأصلهم[70]، والدابر في الأصل الآخر، وصار في هذا عبارة عن الاستئصال[71].

﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ ﴾

﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ ﴾ روي أنه صلى الله عليه وآله وسلم لما رأى المشركين وهم ألف، وأصحابه وهم ثلاثمائة وبضعة عشر استقبل القبلة، ومد يديه يدعوا:

(58) البغوي، معالم التنزيل، ج 3، ص 327.
(59) الزمخشري، الكشاف، ج 2، ص 554.
(60) هو: صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس، أبو سفيان الأموي، أسلم يوم فتح مكة وشهد حنيناً، وشهد الطائف ورُمي بسهم ففقئت عينه، واستعمله النبي على نجران فمات النبي وهو وال عليها، توفي سنة ثلاثين. ابن الأثير، أسد الغابة، ج 3، ص 9.
(61) هو: عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي، أشد الناس عداوة للنبي في صدر الاسلام، وكان يقال له: أبو الحكم، فدعاه المسلمون أبا جهل، شهد وقعة بدر الكبرى مع المشركين، فكان من قتلاها. الزركلي، الأعلام، ج 5، ص 87.
(62) البلخي، تفسير مقاتل، ج 2، ص 5، الزمخشري، الكشاف، ج 2، ص 554، 555.
(63) الطبري، جامع البيان، ج 11، ص 38.
(64) الزمخشري، الكشاف، ج 2، ص 556.
(65) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج 2، ص 401.
(66) الضحاك، تفسير الضحاك، ج 1، ص 382.
(67) أبو عبيدة، مجاز القرآن، ج 1، ص 241.
(68) الزمخشري، الكشاف، ج 2، ص 556.
(69) الطبري، جامع البيان، ج 11، ص 49.
(70) البغوي، معالم التنزيل، ج 3، ص 332.
(71) الزمخشري، الكشاف، ج 2، ص 556.

«اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض»[72]، ﴿ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم ﴾ جاعل لكم مدداً.

واختلف فقيل: قاتلت الملائكة يوم بدر، وقيل: إنما كانوا يكثرون السواد، ويثبتون المؤمنين[73]، ﴿ بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ ﴾، وعن السدي[74]:{بآلاف من الملائكة} ليوافق ما في سورة آل عمران[75] [76]، وعلى قراءة الجماعة: أنه أمدهم بألف، ثم أردفهم ببقية الملائكة[77]، وقد قرئ: ﴿ مُرۡدِفِينَ ﴾ مخففا مبنياً للفاعل والمفعول، ومثقلاً للفاعل، فأما المخفف فمن أردفه إياه أتبعه غيره، ومعناه: مردِفين متبعين نفوسهم المؤمنين، أو ملائكة آخرين، وبفتح الدال متبعين بملائكة أو بالمؤمنين[78]، وأما المثقل فأصله: مرتدفين فأدغمت التاء في الدال[79]، ومعناه: مترادفين، أي: متتابعين[80].

﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ وَلِتَطۡمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمۡۚ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾

﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ ﴾ يعني الإمداد بالملائكة إلا بشرى بالنصر[81]، كالسكينة لبني إسرائيل، ﴿ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ ﴾ يحتمل وما النصر بالملائكة إلا من عند الله، ويحتمل: إنما النصر بالملائكة، وإنما هو من عند الله، فإنه ينصركم وينصر الملائكة أيضاً[82].

﴿ إِذۡ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةٗ مِّنۡهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذۡهِبَ عَنكُمۡ رِجۡزَ ٱلشَّيۡطَٰنِ وَلِيَرۡبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمۡ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلۡأَقۡدَامَ ﴿١١﴾ ﴾

﴿ إِذۡ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةٗ مِّنۡهُ ﴾ وقرئ: يغشاكم[83]، والمعنى: أن الله أمنهم وطامن[84] قلوبهم بغشيان النوم لهم، أو أنهم لما أمنوا غشيهم النوم[85]، والأمنة: الأمن[86]، ﴿ وَيُنَزِّلُ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذۡهِبَ عَنكُمۡ رِجۡزَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ﴾ ناموا واحتلم كثير منهم، وكانوا قد سُبِقُوا على الماء سبقهم المشركون، ونزل المسلمون في كثيب[87] أعفر[88] تسوخ[89] فيه الأقدام على غير ماء، فوسوس لهم الشيطان كيف تصلون على غير وضوء؟ وكيف بكم إذا جهدكم العطش؟ فمشوا إليكم يقتلون ويأسرون من أرادوا، فأنزل الله المطر ليلاً حتى جرى الوادي، واتخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الحياض على عدوة الوادي، واغتسلوا وتوضئوا، وتلبد[90] الرمل الذي

---

(72) مسلم، صحيح مسلم، ص 731، كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر، وإباحة الغنائم، حديث رقم (1763).
(73) الماوردي، النكت والعيون، ج 2، ص 299.
(74) هو: إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السدي، وهو السدي الكبير، المشهور المفسر كان عالما بالتفسير، ضعفه يحيى بن معين والعقيلي، ووثقه أحمد وابن حبان. توفي سنة سبع وعشرين ومائة. الأدنه وي، طبقات المفسرين، ص 15.
(75) وهو قوله تعالى: ﴿ إِذۡ تَقُولُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ أَلَن يَكۡفِيَكُمۡ أَن يُمِدَّكُمۡ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾.
(76) الزمخشري، الكشاف، ج 2، ص 559.
(77) الطبري، جامع البيان، ج 11، ص 50، 51.
(78) ابن زنجلة، حجة القراءات، ص 307، الزمخشري، الكشاف، ج 2، ص 558، 559.
(79) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج 2، ص 403.
(80) الفراء، معاني القرآن، ج 1، ص 404.
(81) البلخي، تفسير مقاتل، ج 2، ص 7.
(82) الزمخشري، الكشاف، ج 2، ص 559.
(83) قرأ ابن كثير وأبو عمرو: {إذ يَغْشَاكم النعاسُ} بفتح الياء وجزم الغين، وفتح الشين والألف بعدها، و النعاس رفع. ابن مجاهد، السبعة في القراءات، ص 304.
(84) طامن: يقال: اطمأن الرجل، واطمأن قلبه إذا سكن واستأنس. الفراهيدي، كتاب العين، ج 3، ص 61.
(85) الزمخشري، الكشاف، ج 2، ص 561.
(86) ابن قتيبة، تفسير غريب القرآن، ص 177.
(87) كثيب: الكثيب: الرمل المستطيل المحدَودِب، ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج4، ص 152.
(88) أعفر: الأعفر الأبيض، وليس بالشديد البياض. الجوهري، الصحاح، ج 2، ص 752.
(89) تسوخ: يقال: تسوخ في الأرض وتسيخ أي: تدخل فيها وتغيب. ابن منظور، لسان العرب، ج 6، ص 419.
(90) تلبد: يقال: لبدَ الشيء بالأرض، وتلَبد بها، أي: لصِق. الجوهري، الصحاح، ج 2، ص 533.

كان بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه أقدامهم[91]، و ﴿ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾ ورجسه ما ألقاه في قلوبهم أو الاحتلام[92].

﴿ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ﴾

﴿ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ ألقوا في قلوبهم ما يثبتون به للقتال، وتقوى به قلوبهم وتصح نياتهم[93]، ﴿ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ أراد أعالي الأعناق التي هي المذابح، لأنها مفاصل[94]، وقيل: أراد الرؤوس، لأنها فوق الأعناق[95]، والبنان الأصابع، وأراد بها الأطراف[96]، والمعنى: فاضربوا المقاتل[97]، والشوى[98]، أي: اجمعوا عليهم النوعين[99].

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ﴾

﴿ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ عادوا الله ورسوله[100].

﴿ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾ ﴾

﴿ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ ﴾ خطاب للكفرة على طريق الالتفات[101]، وقوله: ﴿ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾ عطف على ذلكم، وفتحت أن: إما لأن محل ذلكم نصب، أو بأن الواو بمعنى مع، والمعنى: ذوقوا هذا العذاب العاجل والآجل، أو مع الآخرة[102].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ ﴾

﴿ زَحْفًا ﴾ الزحف: الجيش العظيم الذي يرى لكثرته كأنه يزحف، أي: يدب، والجمع زحوف، والمعنى: إذا لقيتموهم وهم عدد كثير وأنتم قليل، فلا تفروا فضلاً عن أن تدانوهم أو تساووهم في العدد، أو أراد كل منكم زحفٌ، أي: متزاحفين، ﴿ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ ﴾ هو الكر[103] بعد الفر، يخيل عدوه أنه منهزم، ثم يعطف عليه، وهو من خُدع الحرب، ﴿ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ ﴾ أي: منحازاً إلى فئةٍ أخرى من المسلمين سوى الفئة التي هو فيها[104]، وعن ابن عمر[105] خرجت في سرية[106] ففروا، فلما رجعنا إلى المدينة قلت: يا رسول الله نحن الفرارون، فقال: «بل أنتم العكارون[107]،

(91) الطبري، جامع البيان، ج 11، ص 62، ابن كثير، سيرة ابن كثير، ج 2، ص 401- 403.
(92) الزمخشري، الكشاف، ج 2، ص 561.
(93) الطبري، جامع البيان، ج 11، ص 69.
(94) الزمخشري، الكشاف، ج 2، ص 562.
(95) الطبري، جامع البيان، ج 11، ص 70.
(96) ابن قتيبة، غريب القرآن، ص 177.
(97) المقاتل: مقاتل الإنسان: المواضع التي إذا أُصيبت قتلته. الجوهري، الصحاح، ج 5، ص 1797.
(98) الشوى: الأطراف، وكلُّ ما ليس بمَقتل. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج 3، ص 224.
(99) الزمخشري، الكشاف، ج 2، ص 563.
(100) البلخي، تفسير مقاتل، ج 2، ص 8.
(101) التفت من الغيبة في قوله: ﭽ ﯾ ﭼ، إلى الخطاب في قوله: ﭽ ﮎ ﭼ.
(102) الزمخشري، الكشاف، ج 2، ص 563.
(103) الكر: الرّجوع عليه ومنه التَّكرار، الفراهيدي، كتاب العين، ج 4، ص 19.
(104) الزمخشري، الكشاف، ج 2، ص 564.
(105) هو: عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي، قيل: إن هجرته كانت قبل هجرة أبيه، كان من أهل الورع والعلم، وكان كثير الاتباع لآثار رسول الله، توفي سنة ثلاث وسبعين. القرطبي، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ص 419- 421.
(106) السرية: طائفة من الجيش يبلغ أقصاها أربعمائة، تُبعث إلى العدو. ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج 2، ص 363.
(107) العكارون: أي الكَرّارُون إلى الحَرْب والعَطّافُون نَحْوَها. ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج 3، ص 283.

وأنا فئتكم[108]»[109]، وعن ابن عباس[110]: الفرار من الزحف من أكبر الكبائر[111].

﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ﴾

﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ ﴾ تقديره: إن افتخرتم بقتلهم، فلم تقتلوهم أنتم ولكن الله قتلهم حيث أنزل الملائكة، وألقى الرعب في قلوبهم، فكثركم في أعينهم، وقللهم في أعينكم ونحو ذلك[112]، ولما طلعت قريش قال جبريل له صلى الله عليه وآله وسلم: خذ قبضة من تراب فارمهم بها، فأعطاه علي عليه السلام قبضة من حصا لما التقى الجمعان فرمى بها وجوههم، وقال: «شاهت الوجوه[113]»، فلم يبق مشرك إلا وقع في عينيه شيء منها، وشغل بها، فكانت الهزيمة فيهم، فذلك معنى قوله: ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ ﴾[114]، أثبت الرمية لرسول الله حيث وجدت منه، ونفاها عنه لأن أثرها لا يطيقه البشر، فكان المنفي هو أثرها، كأنه قيل: وما أثرت رميتك إذ رميت، ﴿ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي: وليعطيهم عطاءً جميلاً، ولا بُدَّ من محذوف تقديره: فعل ما فعل[115].

﴿ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ ﴾

﴿ ذَٰلِكُمْ ﴾ إشارة إلى البلاء الحسن[116]، أي: ذلكم الغرض، وتوهين كيد المشركين، يعني: الغرض إبلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين، ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ ﴾ خطاب لأهل مكة على جهة التهكم[117]، والمعنى: إن تستنصروا فقد جاءكم نصركم[118]، وهو هلاكهم، نحو: ﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ ﴾[119].

﴿ وَإِن تَنتَهُوا۟ ﴾ للكافرين يعني: عن عداوة رسول الله، ﴿ وَإِن تَعُودُوا۟ ﴾ لمحاربته، ﴿ نَعُدْ ﴾ لنصرته[120]، ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ ﴾ قرئ بالفتح[121]، على: ولأنَّ الله، والكسر أوجه[122].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟

---

(108) فئتكم: الفئة: الفرقة والجماعة من الناس في الأصل، والطائفة التي تقيم وراء الجيش، فإن كان عليهم خوف أو هزيمة التجأوا إليهم. ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج 3، ص 406.

(109) أخرجه الترمذي وقال: هذا حديث حسن. الترمذي، سنن الترمذي، ص 400، كتاب: الجهاد، باب: ما جاء في الفرار من الزحف، رقم الحديث: (1716).

(110) هو: عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي، أبو العباس، ابن عم الرسول، ولد وبنو هاشم بالشعب قبل الهجرة بثلاث سنين، يسمى حبر الأمة، توفي سنة ثمان وستين. ابن الأثير، أسد الغابة، ج 3، ص 291- 294.

(111) الطبري، جامع البيان، ج 11، ص 81.

(112) الزمخشري، الكشاف، ج 2، ص 566، 567.

(113) شاهت الوجوه: أي قبحت. ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج 2، ص 511.

(114) عزاه الزيلعي إلى الطبري، والواقدي في المغازي. الزيلعي، تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري، ج 2، ص 18، 19، وقد أخرجه الطبراني باللفظ الآتي: عن حكيم بن حزام قال : لما كان يوم بدر أمر رسول الله صلى الله عليه و سلم فأخذ كفا من الحصباء فاستقبلنا به فرمانا بها، وقال : «شاهت الوجوه»، فانهزمنا فأنزل الله عزوجل: ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ ﴾ الطبراني، المعجم الكبير، ج 3، ص 203، باب الحاء، حديث حكيم بن حزام، رقم الحديث (3128).

(115) الزمخشري، الكشاف، ج 2، ص 567.

(116) الثعلبي، الكشف والبيان، ج 4، ص 339.

(117) الزمخشري، الكشاف، ج 2، ص 567.

(118) البلخي، تفسير مقاتل، ج 2، ص 10.

(119) آل عمران: من الآية 21.

(120) الطبري، جامع البيان، ج 11، ص 95.

(121) قرأ نافع وابن عامر وحفص: {وأن الله} بفتح الهمزة، والباقون بكسرها. الداني، التيسير في القراءات السبع، ص 95.

(122) الطبري، جامع البيان، ج 11، ص 97.

سَمِعۡنَا وَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ﴿٢١﴾ ﴾

﴿ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ ﴾ عن رسول الله، ﴿ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ﴾ أي: تصدقون؛ لأنكم مؤمنون، ولستم كالكفرة الصم[123]، الذين قالوا: سمعنا بأذاننا ﴿ وَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ﴾ بقلوبهم، أي: ينتفعون[124].

﴿ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرًا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾

﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ ﴾ أي: من يدب على وجه الأرض، الذين هم صم عن الحق لا يعقلونه جعلهم من جنس البهائم، ثم جعلهم شرها، ﴿ وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرًا ﴾ يعني في هؤلاء الصم خيرا: أي انتفاعاً، ﴿ لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ ﴾ أي: للطف بهم حتى يسمعوا، ﴿ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ ﴾ يعني: ولو لطف بهم لم يؤثر فيهم اللطف[125]، وهؤلاء هم المنافقون، عن ابن جريج[126][127]، وقيل: هم بنوا عبد الدار لم يسلم منهم إلا رجلان مصعب بن عمير[128]، وسويد بن حرملة[129][130]، وكانوا يقولون نحن صم بكم عمي عما جاء به محمد[131].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾

﴿ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ ﴾ من العلوم الدينية، لأن العلم حياة كما أن الجهل موت، وقيل: لمجاهدة الكفار، لأنهم لو رفضوها لغلبوهم وقتلوهم، ﴿ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ ﴾ بالموت، فيفوته التمكن من إخلاص القلب ومعالجة أدوائه ورده سليماً كما يريده الله، فاغتنموا فرصة الإمهال قبل حضور الآجال، وقيل: قد يملك على العبد قلبه فيبدله بالخوف أمناً، والأمن خوفاً، وبالصحة مرضاً، وبالذكر نسياناً وما أشبه ذلك مما يجوز على الله سبحانه، لا ما يقوله المجبرة[132] من أنه يحول بين قلب الكافر والإيمان[133].

﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةًۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢٥﴾ ﴾

﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةً ﴾ ذنباً، قيل: هو إقرار المنكر بين أظهرهم[134]، وقيل: هو افتراق الكلمة[135]، عن الحسن[136]: نزلت في علي، وعمار[137]،

(123) الزمخشري، الكشاف، ج 2، ص 568.
(124) الطبري، جامع البيان، ج 11، ص 98.
(125) الزمخشري، الكشاف، ج 2، ص 568، 569.
(126) هو: أبو خالد وأبو الوليد عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، وهو من تابعي التابعين، كان عبد الملك أحد العلماء المشهورين، ويقال: إنه أول من صنف الكتب في الإسلام. توفي سنة تسع وأربعين ومائة. النووي، تهذيب الأسماء واللغات، ج 2، ص 297.
(127) الطبري، جامع البيان، ج 11، ص 103.
(128) هو: مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف القرشي العبدري، من السابقين إلى الإسلام، هاجر إلى الحبشة، ثم إلى المدينة، شهد بدراً، وأحداً، واستشهد في أحد. ابن الأثير، أسد الغابة، ج 5، ص 175، 176.
(129) لم أقف على ترجمته، ولعله: سويبط بن سعد بن حرملة بن مالك القرشي العبدري، أسلم قديما وهاجر إلى الحبشة، شهد بدرا. ابن الأثير، أسد الغابة، ج 2، ص 592.
(130) السمرقندي، بحر العلوم، ج 2، ص 12.
(131) الثعلبي، الكشف والبيان، ج 4، ص 341، 342.
(132) المجبرة: هم القائلون بالإجبار والاضطرار في الأعمال، وأنكروا الاستطاعات كلها، وأن لا فعل، ولا عمل لأحد غير الله تعالى، وإنما تنسب الأعمال إلى المخلوقين على المجاز، وهذا مذهب الجبرية الخالصة، كالجهمية، والضرارية، والنجّارية، والجبرية المتوسطة: يقولون أن أفعال العباد مخلوقة لله، وليس للإنسان فيها غير اكتسابها. الحنفي، موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية، ص135،136.
(133) الزمخشري، الكشاف، ج 2، ص 570.
(134) الطبري، جامع البيان، ج 11، ص 113، 115.
(135) الزمخشري، الكشاف، ج 2، ص 571.
(136) هو: أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري، كان من سادات وثقات التابعين وكبرائهم، أحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعاء، توفي سنة عشر ومائة. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 2، ص 69- 72.
(137) هو: عمار بن ياسر بن عامر بن مالك المذحجي، هو وأبوه وأمه من السابقين الأولين إلى الإسلام، وممن عُذبوا في الله عذاباً شديداً، وهو من المهاجرين الأولين، شهد بدراً والمشاهد كلها، قتل في صفين سنة سبع وثلاثين. القرطبي، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ص 481- 484.

وطلحة[138]، والزبير[139]، وهو يوم الجمل[140]، وقيل: فتنة: عذاباً.

﴿ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾ المعنى: إن أصابتكم لا تصيب الظالمين منكم خاصة، بل تعمكم، وإذا كانت نهياً بعد أمرٍ فكأنه قيل: احذروا ذنباً أو عقاباً، ثم قيل: لا تتعرضوا للظلم فيصيب العقاب، أو أثر الذنب ووباله من ظلم منكم خاصة[141].

﴿ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾

﴿ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ يعني: في مكة، ﴿ فَـَٔاوَىٰكُمْ ﴾ إلى المدينة، ﴿ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ ﴾ بمظاهرة الأنصار، وإمداد الملائكة يوم بدر، ﴿ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾ من الغنائم[142].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾

﴿ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ﴾ الخون: النقص، والمعنى: لا تخونوا الله بأن تعطلوا فرائضه، ورسوله: بأن لا تستنوا بسنته، و﴿ أَمَٰنَٰتِكُمْ ﴾ فيما بينكم بأن لا تحفظوها، ﴿ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ تبعة ذلك[143]، نزلت في أبي لبابة[144]، لما حاصر صلى الله عليه وسلم بني قريظة، فأبى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا أن ينزلوا على حكم سعد ابن معاذ[145]، فأبوا وقالوا أرسل إلينا أبا لبابة، وكان مناصحاً لأن أولاده وماله في أيديهم، فبعثه إليهم، فقالوا له: ما ترى هل ننزل على حكم سعدٍ؟ فأشار إلى حلقه أنه الذبح، فنزلت، فربط نفسه إلى سارية[146] من سواري المسجد، وقال: والله لا أذوق طعاماً ولا شراباً حتى أموت، أو يتوب الله علي، فمكث سبعة أيام حتى خر مغشياً عليه، ثم تاب الله عليه[147]، وقيل: ﴿ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ ﴾ ما أئتمنكم الله عليه من فرائضه[148].

﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾

﴿ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ لأنهم سبب الوقوع في الفتنة، وهي الإثم والعذاب، أو محنة من الله ليبلوكم كيف تحافظون فيهم على حدوده[149].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ﴾

﴿ فُرْقَانًا ﴾ نصراً؛ لأنه يفرق بين الحق والباطل[150].

---

(138) هو: طلحة بن عبيد الله بن عثمان القرشي التيمي، كان من المهاجرين الأولين، شهد أحداً وما بعدها من المشاهد، توفي يوم الجمل سنة ست وثلاثين. ابن الأثير، أسد الغابة، ج 3، ص 4- 88.

(139) هو: الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد القرشي، هو أول من سل سيفاً في سبيل الله، وشهد بدرا والحديبية، والمشاهد كلها، شهد الجمل فقاتل فيه، ثم انصرف عن القتال، فتبعه ابن جرموز فقتله سنة ست وثلاثين. القرطبي، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ص 261 - 264.

(140) الثعلبي، الكشف والبيان، ج 4، ص 344.

(141) الزمخشري، الكشاف، ج 2، ص 571.

(142) البلخي، تفسير مقاتل، ج 2، ص 12.

(143) الزمخشري، الكشاف، ج 2، ص 573.

(144) هو: بشير بن عبد المنذر أبو لبابة الأنصاري، شهد العقبة، سار مع النبي إلى بدر فرده رسول الله إلى المدينة، واستخلفه عليها، توفي في خلافة علي. ابن الأثير، أسد الغابة، ج 6، ص 260- 262.

(145) هو: سعد بن معاذ بن النعمان، شهد بدراً وأحداً والخندق، ورمي يوم الخندق بسهم، فعاش شهراً ثم انتقض جرحه فمات سنة خمس من الهجرة. القرطبي، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ص 277، 278.

(146) سارية: السارية الأسطوانة، وقيل: أسطوانة من حجارة، وجمعها السواري. ابن منظور، لسان العرب، ج 6، ص 254.

(147) الواحدي، أسباب النزول، ص 235.

(148) الطبري، جامع البيان، ج 11، ص 125.

(149) الزمخشري، الكشاف، ج 2، ص 574.

(150) الثعلبي، الكشف والبيان، ج 4، ص 348.

﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾

﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ اجتمعوا في دار الندوة[151] متشاورين في أمره صلى الله عليه وآله وسلم[152]، ﴿ لِيُثْبِتُوكَ ﴾ ليسجنوك، أو يوثقوك بالقيد[153]، أو يثخنوك بالضرب والجرح[154]، ﴿ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ ﴾ من مكة[155]، ﴿ وَيَمْكُرُونَ ﴾ يخفون المكائد لك، ﴿ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ ﴾ يخفي ما أعد لهم حتى يأتيهم بغتة، ﴿ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ أنفذ مكراً، أو لأنه لا يفعل إلا ما هو حق وعدل بمن يستوجب[156].

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾

﴿ لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ ﴾ قاله النضر بن الحارث[157] حين سمع اقتصاص الله أحاديث القرون الماضية[158]، وهو الذي جاء من بلاد فارس بنسخة حديث رستم واسفنديار، فزعم أن هذا مثل ذاك، وأنه من جملة أساطير الأولين، وهو القائل: ﴿ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ ﴾[159] يعني: إن كان القرآن هو الحق، فعاقبنا على إنكاره بالسجيل، كما فعل بأصحاب الفيل، أو بعذاب آخر، ومراده نفي كونه حقاً، وإذا انتفى كونه حقاً لم يستوجب منكره عذاباً، ﴿ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً ﴾ قد كثر الإمطار في القرآن العزيز في العذاب، وفائدة قوله: ﴿ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ أي: حجارة من سجيل، ﴿ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ أي: بنوع آخر من جنس العذاب الأليم[160].

﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾

﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ ﴾ لأن حكمة الله تعالى وعادته مع الأنبياء أن لا يعذب أقوامهم عذاب استئصال ما داموا بين أظهرهم، وفيه ما يُفهم أنه يعذبهم إذا فارقهم لقوله: ﴿ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ ﴾[161][162]، ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ معناه: ولكنهم لا يستغفرون، فهو يعذبهم[163]، أي: لا يتوبون.

﴿ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾

﴿ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ معناه: لا حظ لهم في انتفاء استحقاق العذاب، وحالهم أنهم يصدون عن المسجد الحرام كما صدوا رسول الله عام الحديبية، وإخراجهم رسول الله والمؤمنين من الصد، ﴿ وَلَٰكِنَّ

(151) دار الندوة: أول دار بنتها قريش بمكة، أحدثها قصي بن كلاب بن مرة لما تملك مكة، وهي دار كانوا يجتمعون فيها للمشاورة، وجعلها بعد وفاته لابنه عبد الدار بن قصي. الحموي، معجم البلدان، ج 2، ص 423.
(152) ابن كثير، السيرة النبوية، ج 2، ص 227.
(153) السدي، تفسير السدي الكبير، ص 281.
(154) الثعلبي، الكشف والبيان، ج 4، ص 350.
(155) البلخي، تفسير مقاتل، ج 2، ص 14.
(156) الزمخشري، الكشاف، ج 2، ص 576.
(157) هو: النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف، صاحب لواء المشركين ببدر، كان من شجعان قريش ووجوهها، شهد وقعة بدر مع مشركي قريش، فأسره المسلمون، وقتلوه بالأثيل (قرب المدينة) بعد انصرافهم من الوقعة. الزركلي، الأعلام، ج 8، ص 33.
(158) الطبري، جامع البيان، ج 11، ص 142.
(159) الأنفال: من الآية 32.
(160) الزمخشري، الكشاف، ج 2، ص 577.
(161) الأنفال: 34.
(162) الزمخشري، الكشاف، ج 2، ص 577.
(163) الطبري، جامع البيان، ج 11، ص 153.

﴿ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ كانوا يقولون: نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء، فنفى الله سبحانه عنهم الولاية لكفرهم، وأكد ذلك بما كرر في معناه، وأراد بالأكثر الكل كما يراد بالقلة العدم[164].

﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمۡ عِندَ ٱلۡبَيۡتِ إِلَّا مُكَآءٗ وَتَصۡدِيَةٗۚ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ٣٥ ﴾

﴿ إِلَّا مُكَآءٗ وَتَصۡدِيَةٗۚ ﴾ المكاء: الصفير[165]، والتصدية: كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال والنساء، وهم مشبكون بين أصابعهم، يصفرون فيها ويصفقون، وكانوا يفعلون نحو ذلك إذا قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخلطون عليه[166]، والمعنى أنهم وضعوا المكاء والتصدية موضع الصلاة[167]، ﴿ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ ﴾ بالقتل والأسر يوم بدر[168].

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةٗ ثُمَّ يُغۡلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحۡشَرُونَ ٣٦ ﴾

﴿ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ﴾ قيل: نزلت في المطعمين يوم بدر، كان يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزائر، وقيل: نزلت في أبي سفيان وقد استأجر ليوم أحد ألفين من الأحابيش[169] سوى من استجاش[170] من العرب، وأنفق عليهم أربعين أوقية[171]، والأوقية: اثنان وأربعون مثقالاً[172]، و﴿ سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ﴾: اتباع محمد صلى الله عليه وسلم[173]، ﴿ ثُمَّ يُغۡلَبُونَۗ ﴾ في الدنيا، ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ﴾ يوم القيامة، ﴿ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحۡشَرُونَ ﴾ بعد أن ينفقوا ويخسروا ويغلبوا.

﴿ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجۡعَلَ ٱلۡخَبِيثَ بَعۡضَهُۥ عَلَىٰ بَعۡضٖ فَيَرۡكُمَهُۥ جَمِيعٗا فَيَجۡعَلَهُۥ فِي جَهَنَّمَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٣٧ ﴾

﴿ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ﴾ الفريق الخبيث من الفريق الطيب، وهم المؤمنون، فيجعل الفريق الخبيث بعضه على بعض[174]، ﴿ فَيَرۡكُمَهُۥ جَمِيعٗا ﴾ أي: يجمعه ويضمه، أي: يدخل أولهم وآخرهم النار، وقيل: المراد ليميز الله المال الخبيث وهو ما أنفقه المشركون من المال الطيب، وهو ما أنفقه المسلمون في نصرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فيجعل الخبيث في جهنم يعذبون به، كقوله: ﴿ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ ﴾[175]، الآية[176].

﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدۡ مَضَتۡ سُنَّتُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٣٨ ﴾

﴿ إِن يَنتَهُواْ ﴾ عن عداوة رسول الله، ويدخلوا في الإسلام، ﴿ فَقَدۡ مَضَتۡ سُنَّتُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ معناه: وإن تعودوا لقتاله فقد مضت سنة الله في الأولين منهم

(164) الزمخشري، الكشاف، ج 2، ص 578.
(165) الضحاك، تفسير الضحاك، ج 1، ص 391.
(166) البلخي، تفسير مقاتل، ج 2، ص 16.
(167) الزمخشري، الكشاف، ج 2، ص 579.
(168) الضحاك، تفسير الضحاك، ج 1، ص 392.
(169) الأحابيش: هم بطن من قريش، وقيل: هم من بطون كنانة بن خزيمة، وسمي بذلك بجبل اسفل مكة اسمه حبشي، اجتمع عنده بنو المصطلق، وبنو الهون بن خزيمة، فحالفوا قريشاً على أنهم يد واحدة على عدوهم. القلقشندي، نهاية الأرب، ص 164.
(170) استجاش: طلب جيشاً من غيره. ابن منظور، لسان العرب، ج 2، ص 435.
(171) الواحدي، أسباب النزول، ص 236، 237.
(172) الطبري، جامع البيان، ج 11، ص 171. وقيل: كانت الأوقية قديماً عبارة عن أربعين درهماً. ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج 1، ص 80.
(173) السدي، تفسير السدي الكبير، ص 283.
(174) الطبري، جامع البيان، ج 11، ص 175، 176.
(175) التوبة: من الآية 35.
(176) الزمخشري، الكشاف، ج 2، ص 579، 580.

يوم بدر، ونحن نفعل بهم مثل ذلك، أو الأولين من الأمم المكذبة حيث دمروا مثل ذلك[177].

﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٣٩ ﴾

﴿ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ ﴾ أي: لا يوجد شرك قط[178]، ﴿ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ ﴾ عن الكفر وتابوا، ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴾ من الإيمان، ﴿ بَصِيرٞ ﴾ يثيبهم ويقبل توبتهم[179]، وقرئ: بالتاء[180]، فيكون المعنى: بجهادكم ودعائكم إلى الإسلام بصير يثيبكم عليه[181].

﴿ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَىٰكُمۡۚ نِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ٤٠ ﴾

﴿ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَىٰكُمۡۚ ﴾ أي: ناصركم[182]، تقديره: وإن تولوا فقاتلوهم واستعينوا بالله فهو مولاكم[183].

﴿ ۞ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٤١ ﴾

﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ ﴾ ظاهر الآية يقتضي أن الخمس يصرف إلى ستة لله، وللرسول، ولذوي القربى، واليتامى، وللمساكين، ولابن السبيل، وقال بهذا الهادي عليه السلام، وهو الظاهر من مذهب أهل البيت عليهم السلام، قالوا: وسهم الله يصرف في مصالح المسلمين، وسهم الرسول في وقته صلى الله عليه وآله وسلم له ويورث عنه، وما كان بعد وفاته فهو لإمام الحق[184]، وقال أبو العالية[185]: سهم الله في الكعبة[186]، ومذهب أبو حنيفة[187] والشافعي[188] أن ذكر الله في قوله: ﴿ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ﴾[189]، توطئة لذكر الرسول، كقوله: ﴿ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ ﴾[190]، قالوا ويقسم على خمسة: للرسول سهم في حياته، ولا يورث عنه، بل يكون للمصالح ولا يكون أيضاً لإمام الحق من بعده، وسهم ذوي القربى باقٍ لهم عند الشافعي، وقال أبو حنيفة: إنما كان في وقت الرسول، وإما بعد الرسول فقد سقط وسقط سهم الرسول، ويقسم الخمس على ثلاثة: لليتامى، وللمساكين، ولابن السبيل[191]، واختلف العلماء في ذوي القربى، فمذهب أهل البيت وشيعتهم: أنهم بنوا هاشم[192]، وقال الشافعي: هم وبنوا المطلب[193]، واختلف العلماء في اليتامى والمساكين وابن السبيل، فعن علي عليه السلام وطائفة

(177) الطبري، جامع البيان، ج 11، ص 177.
(178) البلخي، تفسير مقاتل، ج 2، ص 17.
(179) الزمخشري، الكشاف، ج 2، ص 581.
(180) هي قراءة: الحسن ويعقوب: {تعملون} بالتاء. الكرماني، شواذ القراءات، ص 205.
(181) الزمخشري، الكشاف، ج 2، ص 581.
(182) الواحدي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، ج 2، ص 459.
(183) الطبري، جامع البيان، ج 11، ص 184.
(184) الإمام الهادي، الأحكام في الحلال والحرام، ج 2، ص 361.
(185) هو: رفيع بن مهران، الإمام المقرئ الحافظ المفسر، أبو العالية الرياحي البصري، أدرك زمان النبي صلى الله عليه وسلم وهو شاب، وأسلم في خلافة أبي بكر الصديق، مات سنة ثلاث وتسعين. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 4، ص 207– 213.
(186) الطبري، جامع البيان، ج 11، ص 190.
(187) هو: أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زُوطَي، إمام أصحاب الرأي، وفقيه أهل العراق، رأى أنس بن مالك، وسمع عطاء بن أبي رباح، وغيرهم، توفي ببغداد سنة خمسين ومائة. الحنفي، محي الدين أبي محمد عبد القادر، الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية، ج 1، ص 51-59.
(188) هو: محمد بن إدريس الشافعي، أبو عبد الله، الإمام الذي سارت الركبان بفضائله ومعارفه وثقته وأمانته، من جلة أصحاب الحديث، توفي سنة أربع ومائتين. السبكي، تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب، طبقات الشافعية الكبرى، ج 9، ص 113، 114.
(189) الحشر: من الآية 7.
(190) التوبة: من الآية 62.
(191) الشافعي، الأم، ج 5، ص 300، 340، الكاساني، بدائع الصنائع، ج 9، ص 497، 500.
(192) العنسي، التاج المذهب، ج 1، 229.
(193) الشافعي، الأم، ج 5، ص 325.

من أهل بيته منهم علي بن الحسين[194]، والهادي إلى الحق، على ما ذكره السيد أبو طالب[195] أنهم يتامى أهل البيت ومساكينهم وابن سبيلهم، فإن لم يوجدوا ففي يتامى المسلمين ومساكينهم وابن سبيلهم[196]، وذهب الأكثرون أنه لا اختصاص لمساكين أهل البيت وابن سبيلهم[197].

﴿ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ ﴾ يوم بدر[198]، ﴿ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ ﴾ من المسلمين والكافرين، يعني: من الآيات العظام، والفتح ونزول الملائكة[199].

﴿ إِذۡ أَنتُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلۡقُصۡوَىٰ وَٱلرَّكۡبُ أَسۡفَلَ مِنكُمۡۚ وَلَوۡ تَوَاعَدتُّمۡ لَٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡمِيعَٰدِ وَلَٰكِن لِّيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗا لِّيَهۡلِكَ مَنۡ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٖ وَيَحۡيَىٰ مَنۡ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٖۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ ﴾

﴿ بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾ العدوة جانب الوادي مما يلي المدينة، ﴿ وَهُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلۡقُصۡوَىٰ ﴾ بالجانب الأقصى مما يلي مكة[200]، ﴿ وَٱلرَّكۡبُ أَسۡفَلَ مِنكُمۡۚ ﴾ هم الركب الأربعون الذي جاءوا بالعير[201] في ساحل البحر، وهو مكان أسفل من مكان الفريقين[202]، ﴿ وَلَوۡ تَوَاعَدتُّمۡ لَٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡمِيعَٰدِ ﴾ معناه: لو تواعدتم أنتم وأهل مكة للقتال لخالف بعضكم بعضاً، أما أنتم فثبطكم[203] قلة عددكم، وأما هم فهيبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ﴿ وَلَٰكِن لِّيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗا ﴾ من إعزاز دينه، فوعد المسلمين إحدى الطائفتين مبهمة حتى توهموا أنها العير، وخرجوا لها راغبين، وشُخِصَ[204] بقريش ما علموا من التعرض لعيرهم[205]، ﴿ مَنۡ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٖ وَيَحۡيَىٰ مَنۡ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٖۗ ﴾ أراد ليكفر من كفر بعد حجة ظاهرة عليه، ويؤمن من آمن بعد حجة ظاهرة له[206]، لا تبقى في قلبه شبهة، وذلك أن وقعة بدر اشتملت على معجزات لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كثيرة.

﴿ إِذۡ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلٗاۖ وَلَوۡ أَرَىٰكَهُمۡ كَثِيرٗا لَّفَشِلۡتُمۡ وَلَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ ﴾

﴿ فِي مَنَامِكَ قَلِيلٗاۖ ﴾ رءاهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في منامه قليلاً فأخبر أصحابه يثبتهم ويبشرهم[207]، ﴿ لَّفَشِلۡتُمۡ ﴾ لجبنتم واختلفتم في الرأي بين الفرار والثبات، ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَۚ ﴾ أي: عصم بالسلامة من الفشل والتنازع[208]، وقع ﴿ سَلَّمَۚ ﴾ موقع: لم يركهم كثيراً.

(194) هو: علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، رضي الله عنهم أجمعين، المعروف بزين العابدين، وهو أحد الأئمة الإثني عشر، ومن سادات التابعين، توفي سنة أربع وتسعين. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 3، ص 266- 269.

(195) هو: الإمام الناطق بالحق يحيى بن الحسين بن هارون الهاروني، أحد عظماء الإسلام، والأئمة الأعلام، كان غزير العلم، سمع حديث أهل البيت وفقههم على السيد أبي العباس الحسني، من مؤلفاته: التحرير، الأمالي، توفي سنة 424هـ. الوجيه، معجم رجال الاعتبار وسلوة العارفين، ص 359.

(196) الإمام الهادي، الأحكام في الحلال والحرام، ج 2، ص 362، 363،

(197) الماوردي، الحاوي الكبير، ج 8، ص 1106.

(198) الضحاك، تفسير الضحاك، ج 1، ص 393.

(199) الزمخشري، الكشاف، ج 2، ص 584.

(200) البلخي، تفسير مقاتل، ج 2، ص 18.

(201) العير: الإبل. الجوهري، الصحاح، ج 3، ص 764.

(202) الطبري، جامع البيان، ج 11، ص 203.

(203) ثبطكم: يقال: ثبطه عن الأمر تثبيطا، إذا شغله عنه. الفراهيدي، كتاب العين، ج 1، ص 196.

(204) شُخِصَ: يقال للرجل إذا ورد عليه أمر أقلقه: شُخِصَ به. الجوهري، الصحاح، ج 3، ص 1043.

(205) الزمخشري، الكشاف، ج 2، ص 585.

(206) ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، ج 5، ص 1708.

(207) الطبري، جامع البيان، ج 11، ص 209.

(208) الزمخشري، الكشاف، ج 2، ص 586.

﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾ ﴾

﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا ﴾ قللهم الله في عيون المؤمنين؛ تصديقاً لرؤيا رسول الله، وليثبتوا، قال بن مسعود[209]: لقد قُللوا في أعيننا حتى قلت لرجل إلى جنبي: أتُراهم سبعين؟ قال: أراهم مائة، فأسرنا رجلاً منهم فقلنا له: كم كنتم؟ قال: ألفاً[210]، ﴿ وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ ﴾ حتى قال قائل منهم: إنما هم أكلة جزور؛ ليجترئوا على المسلمين، فيستقيموا لهم، ثم كثرهم الله سبحانه بعد ذلك في أعين الكفار، ﴿ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ﴾[211]؛ ليهابوهم وتحق الهزيمة بمفاجأة الكثرة[212].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾

﴿ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً ﴾ إذا حاربتم فئةً كافرة، ﴿ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ في مواطن الحرب مستنصرين به[213]، داعين له على عدوكم: اللهم اخذلهم، اللهم اقطع دابرهم، ﴿ لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ تظفرون بالنصر والمثوبة[214].

﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾

﴿ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ أي: دولتكم وقوتكم[215].

﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ ﴾

﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ ﴾ هم أهل مكة نفروا لحماية العير، فأتاهم رسول أبي سفيان وهم بالجحفة[216] أن ارجعوا فقد سلمت عيركم، فأبى أبو جهل، وقال: حتى نقدم بدراً نشرب بها الخمور، وتعزف علينا القيان[217]، ونطعم بها من حضرنا من العرب، فذلك بطرهم[218] ورياؤهم الناس[219].

﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَٰٓءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ ﴾

﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ قيل: زين لهم وفعل ما فعل بوسوسته أنهم لا يُطاقون، فلما تلاقا الفريقان ﴿ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾ وتبرأ منهم، أي: بطل كيده، كذا عن الحسن[220].

---

(209) هو: عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن مضر، كان إسلامه قديما في أول الإسلام، وهو أول من جهر بالقرآن بمكة، شهد بدرا والحديبية، وهاجر الهجرتين، توفي بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين. القرطبي، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ص 407- 411.

(210) الطبري، جامع البيان، ج 11، ص 211.

(211) آل عمران: من الآية 13.

(212) الزمخشري، الكشاف، ج 2، ص 586، 587.

(213) الطبري، جامع البيان، ج 11، ص 213.

(214) الزمخشري، الكشاف، ج 2، ص 587.

(215) السجستاني، غريب القرآن، ص 141.

(216) الجحفة: كانت قرية كبيرة ذات منبر، على طريق المدينة من مكة على أربع مراحل، وهي ميقات أهل مصر والشام، وكان اسمها مهيعة، وإنما سميت الجحفة؛ لأن السيل اجتحفها وحمل أهلها في بعض الأعوام، وهي الآن خراب، وبينها وبين ساحل الجار نحو ثلاث مراحل. الحموي، معجم البلدان، ج 2، ص 111.

(217) القيان: الجواري، القينة: الأمة، مغنية كانت أو غير معنية. الجوهري، الصحاح، ج 5، ص 2186.

(218) البطر: دهش يعتري الإنسان؛ من سوء احتمال النعمة، وقلة القيام بحقها، وصرفها إلى غير وجهها. الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 50.

(219) ابن هشام، سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ج 2، ص 276، 277.

(220) الطبري، جامع البيان، ج 11، ص 224، 225.

﴿ إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾ ﴾

﴿ إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ ﴾ المنافقون بالمدينة، ﴿ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ عن الحسن: هم المشركون، ﴿ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ﴾ يعنون: أن المسلمين اغتروا بدينهم وأنهم يتقوون به، وينصرون من أجله، فخرجوا وهم ثلاثمائة وبضعة عشر إلى زهاء ألف[221]، ثم قال سبحانه جواباً لهم: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ غالب حكيم يسلط القليل على الكثير، والضعيف على القوي[222]، إذا اقتضت ذلك حكمته.

﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ﴾

﴿ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ هم قتلا بدر من المشركين[223]، وقيل: جميع الكفار[224]، ﴿ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴾ قيل يضربون ما أقبل منهم وما أدبر[225]، ويقولون: ذوقوا ﴿ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾ أي: مقدمة عذاب النار، ويقال لهم يوم القيامة: ذوقوا[226]، وجواب لو محذوف تقديره: لرأيت امراً هائلاً[227].

﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾ ﴾

﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ معناه: ذلك العذاب بسببين بما قدمت أيديكم من المعاصي، وبأن الله ليس بظلام؛ لأن تعذيب الكفار من العدل[228].

﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾ ﴾

﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ ﴾ أي: دأب هؤلاء كدأب آل فرعون[229]، والدأب: العادة[230]، وقوله: ﴿ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ تفسير لدأب آل فرعون[231].

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴾

﴿ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ ﴾ تغييرهم: ازديادهم في الكفر بعداوة الرسول، وإخراجه وحربه، فغير الله إمهالهم وعاجلهم بالعذاب[232].

﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ ۚ وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾

﴿ وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴾ يريد كل من غرقى آل فرعون، وقتلى قريش كانوا ظالمين أنفسهم، ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ أي: أصروا على الكفر، فلا يتوقع منهم إيمان، وهم بنو قريظة عاهدهم رسول الله أن لا يمالؤا[233] عليه أحد، فنكثوا بأن أعانوا مشركي قريش

(221) زهاء ألف: أي قدر ألف. ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج 2، ص 323.
(222) الزمخشري، الكشاف، ج 2، ص 590.
(223) الضحاك، تفسير الضحاك، ج 1، ص 394.
(224) السمرقندي، بحر العلوم، ج 2، ص 22.
(225) الثعلبي، الكشف والبيان، ج 4، ص 366.
(226) الزمخشري، الكشاف، ج 2، ص 591.
(227) النحاس، إعراب القرآن، ج 2، ص 190.
(228) الزمخشري، الكشاف، ج 2، ص 591.
(229) الطبري، جامع البيان، ج 11، ص 232.
(230) الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ج 1، ص 174.
(231) الزمخشري، الكشاف، ج 2، ص 591.
(232) الطبري، جامع البيان، ج 11، ص 233.
(233) يمالئوا: يقال: مالأته على الأمر ممالأة أي: ساعدته عليه وشايعته. الجوهري، الصحاح، ج 1، ص 73.

بالسلاح، ثم عاهدهم، فنكثوا ومالوا معهم يوم الخندق، جعلهم شر الدواب، لأن شر الناس الكفار، وشر الكفار المصرون، وشر المصرين الناكثين للعهود، ﴿ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴾ العار في الدنيا، والنار في الآخرة[234].

﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟ ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾

﴿ تَثْقَفَنَّهُمْ ﴾ تصادفنهم[235]، وتظفرن بهم[236]، ﴿ فَشَرِّدْ بِهِم ﴾ ففرق عن محاربيك بقتلهم[237]، ﴿ مَّنْ خَلْفَهُمْ ﴾ من ورائهم من الكفرة، ﴿ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ لعل المشردين الذين ورائهم يذكرون، ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ ﴾ معاهدين، ﴿ خِيَانَةً ﴾ نقض عهدٍ بأماراتٍ، ﴿ فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ ﴾ فاطرح إليهم العهد، ﴿ عَلَىٰ سَوَآءٍ ﴾ طريق مستوٍ قصد، وذلك أن تظهر لهم نبذ العهد، وتخبرهم إخباراً مكشوفاً أنك قد قطعت ما بينك وبينهم، ولا تحاربهم وهم على توَهُّم بقاء العهد، فيكون ذلك خيانة منك والله ﴿ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾، ﴿ سَبَقُوٓا۟ ﴾ فاتوا وأفلتوا من أن يظفر بهم[238]، ﴿ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴾ لا يفوتون[239].

﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾

﴿ مِّن قُوَّةٍ ﴾ كل شيء يتقوى به في الحرب[240]، وعن عقبة بن عامر[241] سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول على المنبر: «ألا إن القوة الرمي» قالها ثلاثاً[242]، والرباط: اسم للخيل التي تربط في سبيل الله[243]، ﴿ تُرْهِبُونَ ﴾ تخيفون[244]، و﴿ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ أهل مكة، ﴿ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ ﴾ هم اليهود، وقيل: المنافقون، وقيل: فارس، وقيل: كفرة الجن[245]، وفي الحديث: «إن الشيطان لا يقرب صاحب فرس ولا داراً فيها فرس عتيق[246]»[247]، وروي: أن صهيل الخيل يرهب الجن[248].

﴿ ۞ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ ﴾

﴿ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ ﴾ مالوا إلى المسالمة والصلح[249]، والسلم تؤنث كما تؤنث الحرب، والصحيح أن الأمر موقوف على رأي الإمام، وليس بحتم أن يقاتلوا، أو يجابوا إلى الهُدنة، ﴿ وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ ﴾

(234) الزمخشري، الكشاف، ج 2، ص 592.
(235) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج 2، ص 420.
(236) ابن قتيبة، تفسير غريب القرآن، ص 179.
(237) الطبري، جامع البيان، ج 11، ص 236.
(238) الزمخشري، الكشاف، ج 2، ص 592، 593.
(239) السدي، تفسير السدي الكبير، ص 284.
(240) الزمخشري، الكشاف، ج 2، ص 594.
(241) هو: عقبة بن عامر بن عبس بن عدي الجهني، كان من أحسن الناس صوتاً بالقرآن، شهد صفين مع معاوية، وشهد فتوح الشام، وولى له مصر وسكنها، وتوفي بها سنة ثمان وخمسين. ابن الأثير، أسد الغابة، ج 4، ص 51، 52.
(242) مسلم، صحيح مسلم، ص 795، كتاب الإمارة، باب فضل الرمي والحث عليه، وذم من علمه ثم نسيه، حديث رقم (1917).
(243) الزمخشري، الكشاف، ج 2، ص 594.
(244) السمرقندي، بحر العلوم، ج 2، ص 24.
(245) الزمخشري، الكشاف، ج 2، ص 595.
(246) فرس عتيق: أي: رائع ظاهر العتق، والعتق: ما بين المنكب والعنق. الأزهري، تهذيب اللغة، ج 1، ص 210.
(247) قال الزيلعي عنه: حديث غريب. الزيلعي، تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري، ج 2، ص 34.
(248) الطبري، جامع البيان، ج 11، ص 250. وقال عنه الزيلعي: حديث غريب. الزيلعي، تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري، ج 2، ص 34.
(249) ابن قتيبة، تفسير غريب القرآن، ص 180.

بجنوحهم إلى السلم، ﴿فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ﴾ أي: كافيك وعاصمك من مكرهم[250].

﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾

﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ التأليف بين قلوب جميع المؤمنين الذين بعث إليهم صلى الله عليه وآله وسلم، وقيل: هم الأوس[251]، والخزرج[252]، لم يكن لعداوتهم أمد حتى جاء الإسلام، فصاروا متحابين متعاضدين[253]، بلطيف صنع الله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾﴾

﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: كفاك، وكفى أتباعك من المؤمنين الله ناصراً، أو كفاك الله وكفاك المؤمنون[254].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾﴾

﴿حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ التحريض: المبالغة في الحث على الأمر، ﴿لَّا يَفْقَهُونَ﴾ معناه: أنهم يقاتلون على غير احتساب وطلب ثواب، فيقل ثباتهم وليس لهم ناصر، والله ينصر المؤمنين ويثبتهم[255]، عن ابن جريج: كان عليهم أن لا يفر الواحد من عشرة[256]، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعث حمزة في ثلاثين راكباً، فلقي أبا جهل في ثلاثمائة راكب[257]، قيل: ثم ثقل عليهم، فنسخ، وخفف بمقاومة الواحد الاثنين، وقيل كانوا قليلاً، ثم خفف لما كثروا[258].

﴿ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾﴾

﴿ضَعْفًا﴾ قرئ: بضم الضاد وفتحها[259]، والمراد به: الضعف في البدن، ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ﴾ أي: ما صح له وما استقام، والإثخان: كثرة القتل، وأصله من الثخانة بمعنى: الغلظ والكثافة، ومعناه: لا يثبت الأسر حتى يضعف الكفر بإشاعة القتل، ويعز الإسلام، وبعد ذلك يكون الأسر ثابتاً[260]، روي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أتي بسبعين أسيراً فيهم عمه

(250) الزمخشري، الكشاف، ج 2، ص 595.
(251) الأوس: بطن من مزيقياء، من الأوس، من القحطانية، وهم بنو الأوس بن حارثة بن ثعلبة بن مزيقياء، وكان للأوس من الولد مالك، ومنه جميع عقبه، وهم أحد قبيلتي الأنصار، والأوس هذا هو أخو الخزرج، وكان لهم ملك يثرب، وجاء الإسلام وهم بها، فكانوا أنصاراً للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأعقابهم كثيرون متفرقون في المشرق والمغرب. القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ص 93، 94.
(252) الخزرج: بطن من مزيقيا من الأزد، غلب عليهم اسم أبيهم، فقيل لهم: الخزرج، وهم بنو الخزرج الأكبر بن حارثة بن ثعلبة بن مزيقياء، وكان للخزرج هذا من الولد عمرو وعوف وجشم وكعب والحارث، وهم إحدى قبيلتي الأنصار، إخوة الأوس، ويقال لكليهما: بنو قيلة، وكان لهم ملك يثرب قبل الإسلام مع إخوانهم الأوس. القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ص 52، 53.
(253) الطبري، جامع البيان، ج 11، ص 256.
(254) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج 2، ص 423.
(255) الزمخشري، الكشاف، ج 2، ص 597، 598.
(256) الطبري، جامع البيان، ج 11، ص 262.
(257) ابن هشام، سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ج 2، ص 246، 247.
(258) ذكر القولين ابن عباس. الطبري، جامع البيان، ج 11، ص 263، 266، النحاس، الناسخ والمنسوخ، ج 2، ص 387، 388.
(259) رسمها المصنف: {ضُعفاً}، بضم الضاد، وقد قرأها ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر والكسائي: {ضُعفا} بضم الضاد، وقرأها عاصم وحمزة: {ضَعفا} بفتح الضاد. ابن مجاهد، السبعة في القراءات، ص 308.
(260) الزمخشري، الكشاف، ج 2، ص 598.

العباس[261]، وعقيل ابن أبي طالب[262]، فاستشار فيهم، فأشار أبو بكر[263] باستبقائهم لعل الله أن يتوب عليهم، ويؤخذ منهم فدية يتقوى بها المسلمون، وقال عمر[264]: كذبوك وأخرجوك فاضرب أعناقهم فإن هؤلاء أئمة الكفر، وإن الله يغنيك عن فداهم، فمال صلى الله عليه وآله وسلم إلى رأي أبي بكر[265]، ﴿ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا ﴾ حطامها، سُمي بذلك لأنه قليل لبث[266]، يريد الفداء[267]، ﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ ﴾ يعني: ما هو سبب للجنة من إعزاز الإسلام بالإثخان في القتل[268].

﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾ ﴾

﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ ﴾ لولا حكم منه سبق إثباته في اللوح المحفوظ، وهو: أنه لا يعاقب أحداً بخطأ في الاجتهاد، وقيل: إنه لا يعذب إلا بعد تأكيد الحجة، وتقديم النهي، ولم يتقدم نهي، ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ ﴾ روي: أنهم أمسكوا عن الغنائم ولم يمدوا إليها، فنزلت، وقيل: هي إباحة للفداء؛ لأنه من جملة الغنائم[269].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾ ﴾

﴿ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا ﴾ خلوص إيمان، ﴿ يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ ﴾ من الفداء، إما أن يخلفكم في الدنيا أضعافاً، أو يثيبكم في الآخرة[270].

﴿ وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾

﴿ وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ ﴾ نكث ما بايعوك عليه من الإسلام، وقيل: منع ما ضمنوا من الفداء، معناه: فسيمكنك الله منهم، كما أنهم: ﴿ خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ ﴾ حيث كفروا، ونقضوا ميثاقه الذي أخذ عليهم بالإيمان بما ركز في عقولهم[271]، ﴿ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ﴾ في بدر[272].

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ

---

(261) هو: عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، عم رسول الله، أسلم العباس قبل فتح خيبر، وكان يكتم إسلامه، ثم أظهر إسلامه يوم فتح مكة، وشهد حنيناً والطائف وتبوك، توفي سنة اثنتين وثلاثين. القرطبي، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ص 556- 559.

(262) هو: عقيل بن أبي طالب، ابن عم رسول الله، كان عقيل ممن خرج مع المشركين إلى بدر مكرهاً، فأسر يومئذ، وكان لا مال له ففداه عمه العباس، ثم أتى مسلماً قبل الحديبية، وهاجر إلى النبي سنة ثمان، وشهد غزوة مؤتة، توفي عقيل في خلافة معاوية. ابن الأثير، أسد الغابة، ج 4، ص 61- 63.

(263) هو: عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو القرشي التيمي، أبو بكر الصديق بن أبي قحافة، صاحب رسول الله في الغار وفي الهجرة، سُمي الصديق لبداره إلى تصديق رسول الله في كل ما جاء به، شهد أبو بكر المشاهد كلها مع رسول الله، توفي سنة ثلاث عشرة. القرطبي، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ص 373- 379.

(264) هو: عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى القرشي العدوي، من المهاجرين الأولين، شهد بدراً وبيعة الرضوان وكل مشهد شهده رسول الله، فتح الله له الفتوح بالشام والعراق ومصر، أستشهد عمر سنة ثلاث وعشرين من ذي الحجة. ابن الأثير، أسد الغابة، ج 4، ص 137- 167.

(265) هو جزء من حديث عمر بن الخطاب، وفيه: فلما أسروا الأسارى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر وعمر: «ما ترون في هؤلاء الأسارى؟»، فقال أبو بكر: يا نبي الله هم بنو العم والعشيرة، أرى أن تأخذ منهم فدية، فتكون لنا قوة على الكفار، فعسى الله أن يهديهم للإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما ترى يا بن الخطاب؟»، قلت: لا والله يا رسول الله، ما أرى الذي رأى أبو بكر، ولكني أرى أن تمكنا فنضرب أعناقهم، فتمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه، وتمكني من فلان (نسيبا لعمر) فأضرب عنقه، فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها، فهوى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال أبو بكر، ولم يهو ما قلت...الحديث. مسلم، صحيح مسلم، ص 732، كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر، وإباحة الغنائم، حديث رقم (1763)، الواحدي، أسباب النزول، ص 239، 240.

(266) الزمخشري، الكشاف، ج 2، ص 600.

(267) البلخي، تفسير مقاتل، ج 2، ص 27.

(268) الطبري، جامع البيان، ج 11، ص 271.

(269) الزمخشري، الكشاف، ج 2، ص 601.

(270) السمرقندي، بحر العلوم، ج 2، ص 27، 28.

(271) الزمخشري، الكشاف، ج 2، ص 603.

(272) السدي، تفسير السدي الكبير، ص 285.

بَعۡضٖۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿٧٢﴾

﴿ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ ﴾ آووا المؤمنين إلى ديارهم، ونصروهم، وهم المسلمون من أهل المدينة، ﴿ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ ﴾ في الميراث[273]، وكان المهاجرون والأنصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون ذوي القرابات[274]، حتى نسخ ذلك بقوله: ﴿ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ ﴾[275][276]، ﴿ مِّن وَلَٰيَتِهِم ﴾ أي: من توليهم في الميراث[277]، بفتح الواو وكسرها[278]، وجه الكسر: أن تولى بعضهم بعضا شبه بالعمل والصناعة، كالكتابة والتجارة[279]، ﴿ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ ﴾ كانت الهجرة شرطاً في الإسلام، ثم نسخ ذلك بفتح مكة[280]، ﴿ فِي ٱلدِّينِ ﴾ طلبوا إعانتكم ونصركم على مشركين وجب عليكم نصرهم، إلا أن يستنصروكم على مشركين معاهدين مصالحين، فإنه لا يجوز لكم نصرهم عليهم[281].

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٧٤﴾ ﴾

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ ﴾ معناه: نهي المسلمين من موالاة الكفار ومن موارثتهم، وليس المراد أن موارثتهم بينهم حكم ثابت، وإنما أريد قطع موارثة المسلمين إياهم، ﴿ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ ﴾ يعني ما أمرتم به من مواصلة المسلمين، ومصارمة[282] المشركين في الميراث وغيره، ﴿ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ ﴾ لأن المسلمين ما لم يصيروا يداً واحدة على الشرك كان الشرك ظاهراً والفساد باقياً، ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ ﴾ كرر هذه الآية لمعنى آخر، وهو: الشهادة لهم بالفضل، وذكر الأولى أمراً لهم بالتواصل[283].

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡۚ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ﴿٧٥﴾ ﴾

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ ﴾ قيل: بعد الحديبية[284]، وقيل: بعد الفتح[285]، وقيل: أراد اللاحقين في وقت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم[286]، ﴿ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ ﴾ في الميراث، وهم أولوا القرابات[287]، وهذه نسخت التوارث بالهجرة والنصرة[288]، ومعنى ﴿ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾ في حكمه، وقيل: في القرآن، وهو آية المواريث[289]، وقد استدل به على توريث ذوي الأرحام[290].

(273) السمرقندي، بحر العلوم، ج 2، ص 28.
(274) ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، ج 5، ص 1739.
(275) الأنفال: من الآية 75.
(276) النحاس، الناسخ والمنسوخ، ج 2، ص 394.
(277) السدي، تفسير السدي الكبير، ص 285.
(278) قرأها حمزة: {وِلايتهم} بكسر الواو، وقرأها الباقون: {وَلَيَتِهِم} بفتح الواو. الداني، التيسير في القراءات السبع، ص 96.
(279) الزمخشري، الكشاف، ج 2، ص 603.
(280) الجصاص، أحكام القرآن، ج 4، ص 262.
(281) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 10، ص 86، 87.
(282) مصارمة: أي: مقاطعة. الجوهري، الصحاح، ج 5، ص 1965.
(283) الزمخشري، الكشاف، ج 2، ص 603، 604.
(284) الواحدي، البسيط، ج 10، ص 271.
(285) الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج 4، ص 519.
(286) الزمخشري، الكشاف، ج 2، ص 604.
(287) الطبري، جامع البيان، ج 11، ص 301.
(288) النحاس، الناسخ والمنسوخ، ج 2، ص 395.
(289) السمرقندي، بحر العلوم، ج 2، ص 29.
(290) السرخسي، المبسوط، ج 30، ص 4.

الخاتمة:

خلصت بعد هذه الدراسة إلى نتائج عديدة وتوصيات، أُجملها فيما يأتي:

أولاً: أهم النتائج:

1- من خلال التعرف على شخصية علي بن محمد بن أبي القاسم تبين أنه نشأ في أسرة عريقة، وأنه من الهادوية الحسينية، وأنه كان شخصية علمية بارزة في عصره، وموثوقة من قبل العلماء، وأنه من العلماء الذين أوقفوا حياتهم للعلم؛ إذ تتلمذ على كبار من العلماء المشهورين في عصره، وتتلمذ على يديه العديد من العلماء.

2- تنوعت مصادر المؤلف في التفسير، ويرجع ذلك إلى المنهج الذي سار عليه في مصنفه الذي يقوم على الجمع بين المأثور والرأي في تفسيره.

3- تفسير المؤلف ومنهجه يقوم على تفسير القرآن بالقرآن، وبالسنة، وبأقوال الصحابة، والتابعين، كما أنه يعطي القراءات واللغة والنحو دوراً لا بأس به في بيان النص القرآني.

4- بالنسبة لتفسير المؤلف لآيات الأحكام فقد اختصر المسائل الفقهية، ولم يتعمق فيها، وأشار إلى بعض الأقوال في مذهبه والمذاهب الأخرى بما يفي بالغرض.

ثانياً: أهم التوصيات المقترحة:

1- أوصي بنشر تفسير علي بن محمد بن أبي القاسم في المكتبات الإسلامية؛ لما فيه من العلوم الجليلة في التفسير والفقه واللغة والنحو، بعد اكتمال تحقيقه.

2- أوصي بدراسة منهج علي بن محمد بن أبي القاسم في التفسير.

قائمة المصادر والمراجع

[1] ابن أبي الرجال، أحمد بن صالح، مطلع البدور ومجمع البحور، تحقيق: عبد السلام عباس الوجيه، محمد يحيى سالم عزان، مركز التراث والبحوث اليمني- صنعاء، (د. ط، ت).

[2] ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز – مكة المكرمة- الرياض، ط 1، 1417هـ/ 1997م.

[3] ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، ط1، 1415هـ/1994م.

[4] ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، دار إحياء التراث العربي- بيروت- لبنان، (د. ط، ت).

[5] ابن حنبل، أحمد، مسند الإمام أحمد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، ط1،1420هـ /1999م.

[6] ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر- بيروت، ط1، 1900م.

[7] ابن زنجلة، أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد، حجة القراءات، تحقيق: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة- بيروت- لبنان، ط5، 1418هـ/1997م.

[8] ابن فارس، أبو الحسين أحمد، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (د. ط)، 1399هـ/ 1979م.

[9] ابن فند، محمد بن علي بن يونس، مآثر الأبرار في تفصيل مجملات جواهر الأخبار، تحقيق: عبد السلام عباس الوجيه، خالد قاسم محمد المتوكل، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية- عمان- الأردن، ط1، 1423هـ/2002م.

[10] ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، تفسير غريب القرآن، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، (د. ط)، 1398هـ/1978م.

[11] ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى عبدالواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت- لبنان، (د. ط)، 1396هـ/1971م.

[12] ابن مجاهد، أبو بكر أحمد بن موسى، كتاب السبعة في القراءات، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف- القاهرة، ط2، 1400هـ.

[13] ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب، تحقيق: أمين محمد عبدالوهاب، محمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي- بيروت- لبنان، ط3، 1419هـ/1999م.

[14] ابن هشام، أبو محمد عبد الملك، سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، تحقيق: مجدي فتحي السيد، دار الصحابة للتراث بطنطا للنشر والتحقيق والتوزيع، ط1، 1416هـ /1995م.

[15] أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع- الرياض، (د. ط، ت).

[16] أبو عبيدة، معمر بن المثنى التيمي، مجاز القرآن، تحقيق: محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي- القاهرة، (د، ط، ت).

[17] الأدنه وي، أحمد بن محمد، طبقات المفسرين، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة، ط1، 1417هـ/1997م.

[18] الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الدار المصرية للتأليف والترجمة، (د. ط)، 1384هـ/1964م.

[19] الإمام الهادي، يحيى بن الحسين بن القاسم، الأحكام في الحلال والحرام، مكتبة أهل البيت- صعدة- اليمن، ط2، 1435هـ.

[20] الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف، تفسير البحر المحيط، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، ط1422،1هـ /2001م.

[21] الأهجري، عبد الغني علي علي، الحياة العلمية في اليمن من بداية القرن التاسع الهجري حتى سيطرة العثمانيين عليها، رسالة دكتوراه، كلية الآداب- جامعة المنصورة- 1429هـ/2008م.

[22] البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، معالم التنزيل، تحقيق: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ظميرية، سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع- الرياض، ط1، 1409هـ/1989م.

[23] البلخي، أبو الحسن مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق: أحمد فريد، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، ط1، 1424هـ/2003م.

[24] الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة، سنن الترمذي، ، حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع- الرياض، ط1، (د. ت).

[25] الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد، الكشف والبيان، تحقيق: أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي- بيروت- لبنان، ط 1، 1422هـ/2002م.

[26] الجصاص، أبو بكر أحمد بن علي، أحكام القرآن، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي- بيروت- لبنان، (د. ط)، 1412هـ/1992م.

[27] الجنداري، أحمد بن عبد الله، الجامع الوجيز في وفيات العلماء أولي التبريز، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية- عمان، (د. ط، ت).

[28] الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين- بيروت- لبنان، ط4، 1990م.

[29] الحبشي، عبد الله محمد، مصادر الفكر الإسلامي في اليمن، المجمع الثقافي- أبو ظبي- الإمارات، (د. ط)، 1425هـ/2004م.

[30] الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت، معجم البلدان، دار صادر- بيروت، (د. ط)، 1397هـ/1977م.

[31] الحنفي، عبد المنعم، موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية، دار الرشد، ط1، 1413هـ/1993م.

[32] الحنفي، محي الدين أبي محمد عبد القادر، الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط2، 1413هـ/1993م.

[33] الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد، كتاب التيسير في القراءات السبع، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، ط1، 1416هـ/1996.

[34] الداني، أبو عمرو، البيان في عد آي القرآن، تحقيق: غانم قدوري الحمد، منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق- الكويت، ط1، 1414هـ/1994م.

[35] الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط1، 1401هـ/ 1981م.

[36] الراغب، أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة- لبنان، (د. ط، ت).

[37] الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب- بيروت، ط1، 1408هـ/1988.

[38] الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين- بيروت، ط15، 2002م.

[39] الزمخشري، جار الله أبي القاسم محمود، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: عادل أحمد عبد الوجود، علي محمد معوض، مكتبة العبيكان، ط1، 1418هـ / 1998م.

[40] الزيلعي، جمال الدين عبد الله بن يوسف، تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري، تحقيق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد، دار ابن خزيمة- الرياض، ط1، 1414هـ.

[41] السبكي، تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1413هـ.

[42] السجستاني، أبو بكر محمد بن عزيز، غريب القرآن، تحقيق: محمد أديب عبد الواحد جمران، دار قتيبة، ط1، 1416هـ/1995م.

[43] السدي، أبو محمد إسماعيل بن عبد الرحمن، تفسير السدي الكبير، جمع وتوثيق ودراسة: محمد عطا يوسف، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1414هـ/1993م.

[44] السرخسي، شمس الدين أبي بكر محمد بن أبي سهل، المبسوط، تحقيق: خليل محي الدين الميس، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت- لبنان، ط1، 1421هـ/2000م.

[45] السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد، بحر العلوم، تحقيق: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، زكريا عبد المجيد النوتي، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، ط1، 1413هـ/1993م.

[46] الشافعي، محمد بن إدريس، الأم، تحقيق: رفعت فوزي عبد المطلب، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1422هـ/2001م.

[47] الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، تحقيق: أمير علي مهنا، علي حسن فاعور، دار المعرفة- بيروت- لبنان، ط3، 1414هـ/1993م.

[48] الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، البدر الطالع لمحاسن من بعد القرن السابع، تحقيق: محمد حسن

حلاق، دار ابن كثير- دمشق- بيروت، ط1، 1427هـ/2006م.

[49] الضحاك، أبو القاسم بن مزاحم البلخي، تفسير الضحاك، تحقيق: محمد شكري الزاويتي، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع- القاهرة- مصر، ط1، 1419هـ/1999م.

[50] الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المحيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم- الموصل، ط2، 1404هـ/1983م.

[51] الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط 1، 1422هـ/2001م.

[52] عبد العال، محمد، بنو رسول وبنو طاهر وعلاقات اليمن الخارجية في عهدهما، دار المعرفة الجامعية- الإسكندرية، (د. ط)، 1989م.

[53] العنسي، أحمد بن قاسم، التاج المُذْهَب لأحكام المَذْهَب شرح متن الأزهار في فقه الأئمة الأطهار، دار الحكمة اليمانية- صنعاء، (د. ط)، 1414هـ/1993م.

[54] الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد، معاني القرآن، عالم الكتب- بيروت، ط3، 1403هـ/1983.

[55] الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، ط1، 1424هـ/2003م.

[56] القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط1، 1427هـ/2006م.

[57] القرطبي، أبو عمر يوسف بن عبد الله، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: عادل مرشد، دار الإعلام- الأردن، ط 1، 1423هـ/2002م.

[58] القلقشندي، أبو العباس أحمد، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني- بيروت- لبنان، ط2، 1400هـ/1980م.

[59] الكاساني، علاء الدين أبو بكر بن مسعود، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، تحقيق: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، ط2، 1424هـ/2003م.

[60] الكرماني، أبو عبد الله محمد بن أبي نصر، شواذ القراءات، تحقيق: شمران العجلي، مؤسسة البلاغ- بيروت- لبنان، (د. ط، ت).

[61] الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد، النكت والعيون، تحقيق: السيد عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، مؤسسة الكتب الثقافية- بيروت- لبنان، (د. ط، ت).

[62] الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد، كتاب الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي، تحقيق: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، ط1، 1414هـ/1994م.

[63] المحلي، حميد بن أحمد بن محمد، الحدائق الوردية في مناقب أئمة الزيدية، تحقيق: المرتضى بن زيد المحطوري الحسني، مطبوعات مكتبة مركز بدر العلمي والثقافي- صنعاء- اليمن، ط1، 1423هـ/2002م.

[64] مسلم، أبو الحسين بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، (د، ط)، 1419هـ/ 1998م.

[65] المقحفي، إبراهيم أحمد، معجم البلدان والقبائل اليمنية، دار الكلمة للطباعة والنشر والتوزيع- صنعاء- اليمن، المؤسسة الجامعية للدراسات للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت- لبنان، (د. ط)، 1422هـ/2002م.

[66] المؤيد بالله، إبراهيم بن القاسم ابن الإمام، طبقات الزيدية الكبرى، (القسم الثالث)، ويسمى: بلوغ المراد إلى معرفة الإسناد، تحقيق: عبد السلام بن عباس

الوجيه، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية- عمان- الأردن، ط1، 1421هـ/2001م.

[67] النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد، إعراب القرآن، تحقيق: زهير غازي زاهد، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، ط2، 1405هـ/1985م.

[68] النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد، الناسخ والمنسوخ في كتاب الله عز وجل واختلاف العلماء في ذلك، تحقيق: سليمان بن إبراهيم بن عبد الله اللاحم، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط1، 1412هـ/1991م.

[69] النووي، أبو زكريا محي الدين بن شرف، تهذيب الأسماء واللغات، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، (د.ت، ط).

[70] الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد، أسباب النزول، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح- الدمام- السعودية، ط2، 1412هـ/1992م.

[71] الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد، التفسير البسيط، تحقيق: محمد بن صالح بن عبد الله الفوزان، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، (د. ط)،1430هـ.

[72] الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، وآخرون، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، ط1، 1415هـ/1994م.

[73] الوجيه، عبد السلام بن عباس، أعلام المؤلفين الزيدية، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية- عمان- الأردن، ط1، 1420هـ/1999م.

[74] الوجيه، عبد السلام بن عباس، معجم رجال الاعتبار وسلوة العارفين، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية- عمان- الأردن، ط1، 1421هـ/2001م.